هيئة قصور الثقافة
اقليم غرب ووسط الدلتا
فرع ثقافة الإسكندرية



مؤسسة محمد رجب
للتنمية الإجتماعية

كتاب رافودة -٧
مجموعة قصصية

تراتيل نسج الطواقى

أحمد حميدة

تصميم الغلاف
هيثم السيد

الطبعة الاولى ١٩٩٨

إهــداء

إلى

روح سعد الدين وهبة ...

وأخي محمد حافظ رجب

أحمد محمد حميدة

١- في إنتظار فرج :

في صمت الخواء. تلقى الباب العتيق القرعات .. استقبلت أذنـــاه تواليـــ القرع .. مستغربا .. (ليس هذا بفرج . مألوفة لدى دقاته ..)

حين فتح الباب . أقبل رجل مسرع الخطو. علقت بفمـــه ابتســـامة فزعـــة وزائفة .. قتلت بمجرد تلقى الكرسى لمؤخرته المتآكلة .. فى أسى قال :

– لا تستغرب يا أخى . إنها إرادة الزمن .

تصاعدت بصدره الأنفاس المتحجرة .. سعالات . وصاحب البيت المتصلب يقول : – أى زمن ذاك .. ؟!

استراح الضيف وقال :

– هذا . هذا الذى نعيش تحته .

– تحته ؟!

– نعم . تنوء مناكبنا بحمله . نتقوس تحته .. وتنتظم فى الصدر الأنفاس .. ناعمة تكون .. والرجل المدهوش يقول :

– .. لم أتشرف بعد بمن تكون ..

احتوته الحدقة فى عينى الضيف .. واقفا هو . ضئيلا كان بدنـــه .. تلفـــه منامة كالكفن المترهل . متهدلة وكالحة .. والضيف يقول :

– أنا التجأت إليك هاربا ..

(كثيرون هم الذين يدعون الهرب .. مالى أنا والهاربين .. لكن فرج ..)
أهتز البدن واحتل فرج التجاويف .. والذهن تمنى لو جاء الآن .. ليرى هذا الضيف ..

- هارب ؟

- نعم . مثل كل الهاربين . الذين يهربون ويلوذون بكنف مأمون لا تبلغـــه أيدى المطاردين ..

- أهناك مطاردين أيضا ؟

خلعت قدما الضيف الحذاء . تمددت القدمان .. حاذت منه الصدر والمائدة فى الأمام حملت فوارغ الأوانى .. أراح قفاه فوق كفيه خلفـــا .. اطمـــأن. وقال..

- الجو يطاردنى . فأهرب منه ..

تتراشق نظرات الرجل فى الباب . قلق رأسه والتجاويف .. فرج لم يعد .. اقتعد الذهن ضاحكا منه . قال ..

- لكن بيتى ليس ملجأ للعابرين .

امتن الضيف وأغمض نصف عين واحتوت الأخرى البـــدن .. معوجـــا .. واقفا . مرتعشا فى المنامة .. ويفنجل العين . تلملم مـــن فـــوق الجـــدران أطارات قديمة لأناس قدماء من زمن قديم . قال بزيف الأسى

- ليس فى مدينتكم رجل رشيد رحيم ؟ أن العواصـــــف قادمـــة بشراســـة وعنف.. الأمطار سوف تصبح سيولا .. وتصبح الأرض بحرا .. ويعيش الناس فيه كالأسماك .

(أهارب هو ؟ أمطارديه حراس المارستان ؟ مجنون .. فرج يـــا خـــادمى والأجداد والأحفاد .. يا آتى بأقراص الأسبرو منذ القليل أدركنى) .

تبدو خفايا النفس المرعوبة فيه . يقول :

- لكننا فى عز الصيف .

فى أسفل الحدقة كان . نحيل . نحيل . وأبواب عالية لمداخل حجرات واسعة كحارات نظيفة وخاوية ..

تراصت برأسه الأبواب وتفاقمت . وتقاربت .. واستطالت الجدران .. وتقطعت . وتباعدت المسافات بين السقوف والأرض . وتقاربت . تقاربت.

قال الضيف بعد صمت :

- يا صديقى . أنى تركت العواصف فى البلد وجئت .. وما هى إلا دقائق وتهاجمك ..

(يا فرج . يا فرج . أنى قلق عليك) . قال :

- من هى .. ؟

- العواصف ..

ارتبكت الغضون فى وجه الرجل .. تعجنت فيه الملامح وتقلصت . أنتزعت من الحضيض ابتسامة .. أستقرت هناك عنوة . أقتعد كرسيا تحت جدار بركن الصالة .. فركت الأصابع بعضها تحت أطراف المنامة المترهلة ..

وبقعوده المتهالك . بدت لعينى الضيف المرأة جميلة جاورها طفل قمئ فى أطار قديم ..

- لكن بيتى يتحمل العواصف .

بامتنان مبتسم . هز الضيف رأسه وقال :

- لا يا صديقى . جدرانك عالية جداً وعارية . سقوفها طويلة . جدرانك فضاء واسع وصمت كثيف .. حجراتك خاوية .. ألا تسمع صدى أصواتنا .. ؟

- لكن هذا حالنا ..

- أهذه أمرأتك ؟

- وهذا طفلى ..

- ماتت .. ؟

- هربت .. أختفت .

- ألم تحاول تكييفها معك ؟

- تكيفت حتى أنجبت من الأطفال ما يزحمون مدينة .

- وأين هم .. ؟

- مات بعضهم .. وهرب بعضهم . وبعضهم هنا . تركت الجميع وهربت..

تأوه الضيف .

- غدا تهرب أنت أيضا .

ذعر وقام .. تقدم من الضيف بسرعة وقال ..

- وممن أهرب .. ؟

- من العاصفة .

- سأطلى الجدران وأؤثث البيت .

- ولو

- واهبط بالسقوف قليلا ..

- فوق رأسك . ستهبط .

- أحضر بناء . وأعمل معه .
- وحدك .
- لدى ولد شاب . وآخرون فى الحجرات نيام .
- أبنك ؟
- وفرج .
- من فرج هذا ؟
- خادمى .
- معك نقود ؟

(رأسى .. رأسى . لم لم تأت يا فرج ؟ يا نديمى .. ضغطـــى يــزداد .. مسحوقا أنا .. يا فرج . يا فرج .)

قال الضيف :

- أنت جوعان .. كلكم جائعون .. والنائمون فى الزوايا بقلب الحجـــرات الواسعة . يقاومون الغيبوبة .

٢- الطرق والتداخل :

فى صمت الرجل المقعد .. دهنت الجدران بالجير الأبيـــض .. ونزعـت الصور .. أبيضت فى عين الرجل عين .. وأقيمت فى الأطـراف العاليـة أجهزة لتنقية الهواء . ثم تراصت ثلاجات صغيرة بأسفل .. بداخلها حشرت الأطعمة والفراغ وانبعثت منها اشعاعات كسولة لتبريد الجو فى الفصـــول الحارة . وأحيانا التخمة .. استقامت فى الأبدان المنحولة تقـوس السـيقان وتمددت فى تيه داخل الثياب الحرير .

جاءوا من زوايا الحجرات . استكانوا حيث وضعت الثلاجـــات . ارتكـن الضيف ظهر مقعده فى خيلاء . قال :

- هذا ما كنتم تنشدون .

والرجل فى مقعده القديم . منزويا .. امتصت أمعاؤه جلد البطن . وبرزت العظام . وتطلعت العين للضيف .. وتهاوت إلى جانبه اليـــدان نحيلتيـــن . كساهما شعر واهن .. ذاكرا العواصف التى سوف تأتى بعد حين .

تقدم ابن ممن يلبسون الحرير . وضع طبقا وأرغفة ومضى . جاء الأكـــبر فى عين الأب . نصف جائع . متآكلا .. فرع شجيرة مالت وسط الريـــح . قال الضيف :

- لم لم تأكل مثل اخوتك ؟

لم يعره الأبن التفاتا .. ظل فى عين الأب الصامت..قال الضيف :

- كل أخوتك يأكلون وأنت لا . رأسك ملـــوث . رأس عفـــن مثـــل رأس أبيك.. الطعام لكم لمقاومة العواصف والرياح ..

وأنياب الأبن تقول :

- ملوث أنا وملعوب فى أساسى . قل عنى ما شئت . ولكن دعنـــا نقـــاوم العواصف والرياح بمعرفتنا .

والطفل القمئ . ترك جانب أمه الجميلة فى الأطار المركون تحـــت ركـــام الأشياء القديمة. جاور أخاه فى الوقوف .. حملق فى الأب . متروكا هـــو بزاوية الحائط متأبط كرسيه القديم . قال الأبن بصوت مهموس :

- عليك بطرد هذا الضيف فورا ..

جابت عين الرجل الباقية أركان الصالة . توجس .. لم يكن الضيف موجودا تحركت شفتاه هامسا :

- سدوا كل النوافذ . الزموا الصمت . ألم تأكل أنـــت ؟ جوفـــك خـــاو .. ورأسك متعب .. اذهب وكل قبل أن تأتى الرياح . والبرد.

- لن أتناول طعاما . سأظل جائعا . وستظل أنت خائفا متأبطـا كرسـيك. ولن أدرس ..

- أنا مثلك . كنت قاعدا فوقه منذ لحظة . أرادوا أن يأخذوه منى .. يقـول أنه أقوى كرسى فى البيت . خشبه متين .

حين .. وتوافد من الباب أشخاص ضاحكين يتحركـون بآليـة وانتظـام . يحملون مقاعدهم شبه أخشاب مستطيلة ذات قوائم للقعود . وضعوا المقاعد بترتيب وتقاعدوا . بدأت الثلاجات تفتح ويلفظ منها الأطعمـة والفـراخ .. يأكلون .. تثاقلوا. نفشت فى أبدانهم التخمة وناموا قاعدين .. وصوت الأبن يرتفع ..

- عليك بطرد الضيف فورا .

غطيط النيام يعلو، يتأبط الرجل المقعد .. يتضاءل فـى المنامـة منحولـة النسيج. مقدما عضلاته وحبلا مجدولا إلى يدى أين تـهادت فـى قـرف مستسلم. ناظرا إلى أبيه الباكى كمدا ..

أسرع الطفل القمئ إلى الإطار خائفا . باسما . منكمشا إلى جانب أمه .

٣- وهن التضاؤل في الرأس :

تمتط اللحظات .. تعالت فى الصالة أصوات الغطيـط وامتـدت السـيقان المرتخية فوق الأرض تجاوز المنكمشين نياما انضمام الأعضاء المتحالفة.. كان الضيف قد بلغ منتصف الصالة طولا. واقفا حاجبا فى العيـن الخـابى فيها الضوء نصف مربع الجدار الخلفى .. يقول :

- فرج خادمك لم يأت ؟!

تداخل الذراع فيما بين أرجل المقعد ضاما أياه إلى جانبـه الأيمـن حيـث استكان الرأس المجدب فوق قاعدته .. قال :

- ربما تاه عن المكان ..

- كيف يتوه وقد نشأ فيه ..؟

- اعتادت عيناه كما اعتادت عينى . على رؤية الجدران عارية . وعلـــى الأرض حصير . وتلوث الأيدى والزمن على خشب الأبـــواب . وســماع المؤذن فى الجامع القريب .

- لابد أن تروا وتسمعوا غير المألوف ..

ضحك : بقوة ضحك .. زلزلت فى الأركان أفواه النيام .. توارت الجدران والرجال واختلط الغطيط والضحك واختل الذراع والمقعد .. ولكن تشبـــث بهما الجسد .. قال الضيف أخيرا ..

- أنت تراوغ كثيرا .. سوف انتهى منك .. قريبا .. قريبا .

٤- بناة الحجرات :

تفتحت فى الوجوه المستلقية الأبدان .. الأشداق .. فوهات صدئة .. حلوق غائرة هى . متاهات تراصت فى جنباتها والقتامة أنياب مدببــة وحــادة .. حين انعكست عليها أضواء الصالة الخارجية .

تألقت ..

تمطت أبدانهم العملاقة . انبعجت واشتدت الأذرع وهـــاجت الصــدور .. فسعلوا . وسعلوا . وتعالى تثاؤبة موحدة وعظيمة ..

استقاموا وقوفا .. دفعوا بأقدامهم الضخمة إلى الأمام ..

جاسوا خلال الصالة .. فى الأركان كانوا يتقاومون . حجبوا عـــن عيــن الرجل الرؤية .. امتدت الأيدى .. حديدية الأذرع .. نزعت أحد الأبـــواب العالية .. ركنوه .. مجوفة الحجرة من الداخل وخاوية .. انـــتزعت مــن

السقف لمبة الإضاءة .ووضع الحبل وتدلى طرفه الحلقة .. حـــاملا عنـــق الأبن الأكبر ضبابى الملامح . كان الضيف .
يقول :
- لم يأت فرج ..؟ !
نزعت كل الأبواب . ارتكنت . عالية كانت المداخل .. أكـــثر ارتفاعـــا . بلغت السقوف العالية ..
- سوف يأتى ..
من الأسنان المطلية بماء النار . قال الضيف :
- أين بعثته ؟
- سوف يأتى ..
تكتلت الأذرع .. قطعت الأبواب بأشكال متنوعة مختلفة الأحجام . رسمت الأصابع على المداخل رسومات عرضية . انزاحت الحوائط . ثبتت بهمـــة أفاريز خشبية .. تراصت ..
من بين الأضراس المنضغطة .الضيف يقول :
- سأرسل بعضهم وآتى به .
والسوس ينخر فى الكرسى القاعدة . مضموم بصدر الرجـــل . تضـــاءلت أعضاؤه وانكمشت الأجفان . فالأنوار تتكاثر بقوة تتكاثر بقـــوة . بقـــوة . يرتفع فوقها حمالات خشبية .. وجئ برجال وقفف.

٥- ارتكاز الزمن فى الزاوية المظلمة ..

العنق المضغوط . بين قوائم المقعد الأربع . مضغوط . والرأس عظمـــى الشكل تتآكل فيه التلافيف ..

غارت فى الوجه القنوات.. تجاعيد . تداخلت . تجاورت . المسام ونبت الشعر وكانت .. كثيفة الذقن ..

(فرج لم يأت .. تركنى ولم يأت .. ليتنى لم أرسله .. لعل الشارع ألتهمه.. لعل رجال الضيف المحتل مكانى . قاموا بقتله .. لعله يعد لسانه المتسلط فى أحيان الغضب ويأتى ..أتتركنى وحيدا .. يا فرج)

من بين قوائم كرسيه رآه .. منتصب القامة .. يقول .. بتحد:

– لن يأتى فرج . فعلى الباب حراس وفى الشارع رقباء .. سوف يأتون به عندما يظهر .. فلا تفكر فى صمت أنى أسمع صوتك .

أقبل الرجال . خلعوا جذور الشجر من الميادين والشوارع ..عملت المناشير .. أقاموا فى الصالة سدا واختفوا وراءه . أظلم الجانب القابع فيه الرجل . هاجت نفسه ثم استكان سريعا . وترابطت فيه المفاصل .. فى انعدام الوقت تمتد الأيدى الفولاذية من أسفل السد الخشبى . تختلس من حوله أطباق الطعام المرتكنة وتختفى .. يفتح حلقه . تعبا.. تتلاقى قطعتا اللحم الجاف فى ارتخاء والرأس المتصلب فيه المخ . يقول :

(أن لم تأكل سوف تموت . وستموت حتما لو أكلت ..)

من أسفل السد أيضا زجوا إليه جثة ابنه الأكبر مصاحبة لصوت متشنج عال .

– وريثك الوحيد ..

فليبك القلب الواهن حزنا .. متهتك كان القلب قديما . جاب الدمع المآقى الجافة والمخ المتصلب كان يقاوم ويقول :

– (.. هناك آخرون فى الحجرات .. يستذكرون ..)

وتشبث . برأسه الكرسى . والمنكب تلاحم بجلد العنق المتلاشـــى . فـى لحظات تالية . تراصت أكياس أسمنتية ..

أقبلت مناكب جديدة ومقاطف ألقت بالطوب والرمل والزلط وعملت الأيدى فى البناء فارتفع الحائط بحذاء السد الخشبى حتى إذا نزعـوه بـدا جـدار بنصف الصالة الأفقى ..

القوا الخرسانة . بدأوا يقيمون الحجرات . طوب مـتراص بعضـه فـوق بعض ..

انعزل بين أضلاع ثلاثة مكان الرجل . تاركين الرابع بابا .. منبعجا كـان الضيف ومعروقا .. جاء يقول :

- أرأيت . أصبح البيت قصرا . يتوافد عليه مـن بقـاع الأرض . أنـاس يستجمون فيه .

لا شئ يرى غير جثة ملقاة وفوارغ متبقية وجـدران أحيطـت . تتـهاوى سقوفها وقوائم مقعد تضخمت فيها سـراديب السـوس . لقـرب النظـر والتجاور.. وهناك .. ما زالت بالركن أشياء متراكمة . حين شرعوا فـى حملها .. تساقط أطار . تدحرج منه الطفل القمئ فوق كوم الزلط ..

فى البدء .. ضبابى الظل المتداخل بزاوية الرجل . كان يتكاثف رويـدا .. والطفل يجئ .. ملتوى العنق . متلاقى العظم التالف استند أعلى رأس الجثة محدقا فى وجه الأب المصلوب العين إليه ..وعين الضيف الرقيبة. تنعقـد الأيدى المرتفعة ..

تضع مؤن السقف الواطئ . تنزع عن الطابق العلوى الأعمـدة الخشبيـة والمسامير..

تضع لمبات النيون. متكاثرة هى فى الزوايا والأركـــان . وجسـد المـرآه المتمطى يستقيم من بين الركام . تدفع بساقين بضتين إلى الخـارج خــلال الباب الجديد ..

وصوت الضيف يقول :

– نقسم الطابق الأعلى إلى ثمانى غرف وشرفة زرعت فيها الورد بقلــب "قصارى" مطلة على الشارع الكبير .

الطابق السفلى منه البار والمرقص وغرفـات الإدارة وحجـرات للراحـة للوافدين من البلاد البعيدة ..

٦– وهن التضاؤل .. يتضاءل :

نظيفا كان الطفل القمئ .. أقبل مهللا . لكن مفرط العرج والقماءة .. قال :

– سيدى .. سيدى .. أنهم قادمون .. أنى أراهـم . قــادمون .. متداخـلا تجوب العين جدارا ارتفع جواره ووضع السقف عليه ..

بدأت الظلمة تتكاثف . تتراكم . ترتعش الساق المحنية على صــدره حيـن أراد القيام .. كالمتجمد بدنه ، والقادمون .. يجيئون . يتطلعون إلى المكان المجاور للباب . يتأففون حين ينظرون . ترد الظلمة أنظــارهم .. يقبلـون داخلين . يملأون فيما وراء الجدران صخبا وزعيقا ..

والجثة الملقاة ينبعج فيها الجوف . والسقف بعيدا كان منذ الحين .. تطاول الآن رأس الواقف من فوقه . ضجت الموسيقى ودبت الأقدام وتضـــاربت الأكواب .. تعالى الصراخ . وتأوهت النسوة والضحكـــات .. مكتومـة . رويدا.. ثم الصمت المطبق .. مطبق فى القبو .

٧– القبـو :

زكمت الأنوف روائح العفن .. زمن مقحم مرذول ..

يقتل زمنا مطبقا مطحونا .. تراكم .. مطبوخ .. ماجت بـــرءوس نـــزلاء الفندق، تسللت الفئران فيما بين الساعات الأخيرة من الليل وصـــــالت فـــى الأركان ..

هرعت النساء خائفات إلى الضيف الأمير .. يرتعش الوفد الآتى ؟!

يرتعش نزلاء الفندق ! . يزمعون الهرب !

أمر الضيف رجاله بتدعيم الأركان بالأكل المسموم .. تأكل الفئران وتهرب إلى القبو . لتموت هناك . والجوف ينبعج والكرسى ينخره السوس ..

ويستمر الليل .. وريح تهب من مدخل القبو .. يزحـــــف الرجـــل متـــآكل الكرسى يقعى فى ظل المدخل القبوى ناظرا . مضموم الأطراف والحلق .. ضاقت الأبواب وقل حجمها وزينت الجدران وتكـــاثرت الغـــرف وازدادت الأضواء فانبهرت عينه فغضها ..

والرائحة تجئ . مقبلة من القبو . قال الضيف حين ملأته الرائحة :

– فرج لم يأت ؟

تذكر الرجل أن أوان قتله لم يزف :

ألن تأكل مثلما يأكل ضيوف قصرك ؟

(عندما يأتى فرج)

أقبلت من الحجرات امرأة .. تماوجت فى ليونة و.. والشفتان . قالت :

– تحادث من يا أميرى ؟

تأففت وكتمت فتحتى الأنف .. انزاح الرجل المقعد إلى الداخل ملموما فـــى انكماش مذعور . قال الضيف فى شئ من الربكة:

– أبدأ .. انى أتحدث إلى نفسى . فى كيفية سد هذا القبو ..

أمرأة الرجل التى غابت فى الزمن السحيق تبدو على الأرض الآن .

والقزم الذى لم يعرف أباه . يواصل فى المكان استقبال الزبائن .. والجثـــة فى القبو يعلو فيها الجوف . والرجل فى الكرسى يكسوه الصمت والوهـــن المتفاقم والعفن المعبق وتوالى الليل المتوالد .

للمرأة الطفل القمئ ؟ وللقزم أم ؟ للزمن الخائن أقدام تتسلل نحوه الآن ؟

قال الضيوف الذين توافدوا للضيف الأمير :

- روائح المكان أصبحت لا تطاق ..

قال الضيف الأمير لرجاله :

- ابحثوا عن فرج المزعوم .. هاتوه . فليأخذه ..

وللزبائن الضيوف . قال .. :

- ماتت الفئران ولم يبق سوى الرائحة ..

وأمر رجاله بسد مدخل القبو بعدما تعبوا تنقيبا فى المدينة ..

حين شرعوا فى إقامة الجدار الرابع . جاء الرجل زاحفا . رفـــع بذراعـــه النحيل قوائم مقعده فى الوجوه ..

بالية ثياب فرج .. تراكم فوقها الغبـــار والعـــرق .. وأكلتـــها الشمـــس .. بالرصيف المقابل قاعدا هو .. مضموم الساقين إلـــى الصـــدر .. شابكـــا ذراعيه حولهما .. ملقيا برأسه الكبير فوقهما ..

متطلعا بعيون نصف نائمة إلى الحركة الدائبة فى الفندق الجديد ..

-١-

توسدت الشمس الشارع .. نبت الصمت بأرضه .. صمت سائد محروق .. على البعد .. توقفت العربة الجيب .. حاذت بدنه - مصلوبا كـــان فـوق الأسفلت - وبين حاجبى عباس قائد الجيب الـذى لفـظ شـهقات الضيـق والارتياح ..

(أخيرا أيها المأفون .. أجدك .. وأنهى بك مهمتى ..)

-٢-

فى أمس ماض - حين أحتوى البدروم - أمر أخوته الصغار .. أن يرفـــع كل منهم ذراعه الأيمن إلى أعلى ويضم قبضته مثلما يفعل هو ..

بين دهشة الصغار .. هزت الأم رأسها عجبا .. وابتلعت الكلام ...

تقابلت الحدقات .. تساءلت .. حطت فوقه .. قالوا :

- كيف يكون ذلك ؟!

رد على سؤال دار برأس الأم :

- لو كان أبونا على قيد الحياة .. لكان أول من رفع ذراعه .

خسفت عين الأم .. وفى جوفها الكلام .. مقتولا ..

- لا تندهشوا .. الحكاية بسيطة .

- لكن كيف نرفع أذرعتنا ؟

- هكذا .

ورفع ذراعه ..

- وكيف ننام ؟ ..

- على ظهوركم .

- وعندما نتعب ؟

- ناموا على جنوبكم .

- ذلك سيأخذ فراغا إلى جانب كل واحد منا .. ونحن بحاجة إلى هذا الفراغ ..؟!

- كل واحد يضع ذراعه فوق كتف أخيه .

.. عجباً .. أبديل الأب في هذا البيت ممه الجن ؟! ..

- لابد من التمرينات على ذلك .. الحكاية بسيطة.

- ٣ -

تحت الشجرة التي في الشارع .. رجل أصلع .. دوخه القيظ .. ورجل آخر .. ورأسه بداخل جيب الجاكيت .. بحرص كأن يتلقى اللهب الساقط .. حتى لا يبلغ جيبه :

- أترى هذا الواقف في وسط الشارع ؟ .

- ٤ -

قال الابن لامه :

- ماذا يريد أخونا بذلك ؟ .

- علمي علمك .

- ألا أنه كبير يفرض علينا العذاب ؟.

- كيف أنام وذراعى منصوب كالعصا ؟.

- أنزله .. وحين يجئ .. أرفعه .

- ٥ -

جلجل فى الجو المذياع .. من كل مكان آت .. آت ..

حبة فوق .. حبة فوق .. حبة تحت .. حبة تحت . الحلو ساكن فوق .. أنا اللى ساكن تحت ..

- ٦ -

ضمت تلافيفه المدينة - كان يسير - واللغط ..

توسط الشارع والناس . نظر اليهم، لوح لهم بذراعه المرفوعة .

تضاحكوا .

التفوا حوله .. قال :

- من كان مثلى فليرفع ذراعه .

تعجبوا .. تحركوا وانفضوا من حوله ..

جرجر ساقيه .. انتظرت مرور العربات .. أشفقت عليه .. متعجباً هو .. شامخا رأسه وذراعه .. وفى الأذن .. تتداخل الأصوات .. تحاول ارتقاء الذهن .هيهات .. تحاول . هيهات

- ٧ -

حملت المقاعد التى حول المائدة المستطيلة .. انبعاج الأبدان .. وزركشة الثياب والوجوه الملونة .. اتسعت الأشداق .. وتراخت الأجفان .. وتملقت العين صاحب الكرسى المنصة .. الذى بدنه كزجاجة تضخمت .. من زجاجات الشركة المثلجة ..

الزجاجة : وبذا نرضى الشارب .. ونضرب الاسواق الاخرى .. ولكى نضمن المصلحة . علينا . و . أنه . واذن . وعليه . يكون . هذا .. و ..

الأعضاء : هذا قول الحق .. هذا صحيح .

- ٨ -

على مين . على مين . ماتروحش تبيع الميه فى حارة السقايين / ١ .

- ٩ -

"وسقاهم ربهم شرابا طهورا .." / ٢

- ١٠ -

الآن فى الأسواق .. ماركة الدبانة .. لذيذة ومثلجة .

- ١١ -

هذه أرضى أنا .. وأبى ضحى هنا ..

- ١٢ -

يوما كان .. حين أقبل الى الحارة حيث يقطن .. تطلع إليـــه الجـيران .. تقاربوا .. بطون انتفخت وأخرى تآكلت .. دكاكين تقـازمت وتنـافرت .. تهامسوا محدقين فيه .. يجئ ..

- الرجل جن ..

- ربما ذراعه مكسورة ؟!

- مكسورة ورفعها هكذا ؟..

- مسكين يكافح على أيتام ..

اقترب منهم .. قال للبقال :

- عم أمين .. ارفع ذراعك .

فعل الرجل على مضض..

- عم سليمان .. أنت أيضا ..

اندهش الكواء وفعل ..

وللسمكرى قال ولبواب العمارة المجاورة .. "كم هى عالية هذه العمـــــارة "

ارتفعت أذرعتهم .. مضى .. تصادمت الأعين .. داخلها شعور بالتفاهة ..

"وقلة القيمة " ..للحظة .. ثم أنزلوا أذرعتهم . وانطلقـــوا يضحكـــون مـــن

بعضهم البعض .

-١٣-

أهلى توت .. أهلى توت توت ..

زمالك توت .. زمالك توت توت ..

أصوات ..السلطانية .. أصوات .. أخضر وأحمـــر وأصفـــر وأبيـــض ..

هاها.. هراس جاى .. هراس جاى .

-١٤-

والرجل الزجاجة .. يواصل سكب أقواله ..باردة .. مطمئنة فى آذان أكثر

اتساعا من بالوعات الطرقات ..

-١٥-

ارفَع ذراعك يا أخى .. واقبض من الجو الريح .. فالقيظ شديد .. وسخونة

الأسفلت تلهب أقدام الحفاة ..

" الدبانة خير رفيق فى زمن الحر .. شراب منعش مثلج "

انفض من حوله العمال .. تركوا له ساحة النقابـــــة .. فليلـــهو ويقـــول ..

وحده..

-١٦-

الزجاجة : و .. مياه + كربونات الذهن الخـــامل .. ســريع المفعــول - انبساط.. انتعاش .. نسيان التعب والهموم والأيام الشاقة ..

الأعضاء : ياعظمة .. يا آخر عظمة ..

الزجاجة : وبذلك تربح الشركة ويستفيد القائمون على العمل ..

بين أدخنة الرؤوس وأفواه الإدارة .. "كان هو" طويلا أطول مما كان عليه فى سوابق الأيام .. بدت قامته أعلى من المائدة والكراســـى والزجاجـــة .. رفع يده المعروقة اهتز هدب الرجل الزجاجة .. قال :

- لكن يا ريس .. هذا .. يتنافى ..

قبل أن يتم قوله اهتزكرسى الزجاجة .. انتفض :

- أنت ؟! .. أنت ؟ .. أيها النقابى أنت ؟! .

-١٧-

وإذا جاء رجل أجنبى استمتعم إلى لهجته ولغته التى شب عليها .. فاسمحوا لى أيضا .. أنى أخاطبكم بلغتى وأسلوبى الذى شببت عليه /٣

-١٨-

قال الأصلع للرجل الجيب :

- تعال نقل له أن يقف فى الظل .

- نعم وليرفع ذراعه كما يشاء .

حسنا كان حظه .. فالطريق قد أقفر .. وكأن وسائل الإنتقال قد توارت من الدنيا .. بقايا أناس .. يبدون فيما تحت الجدران .. تكاد أبدانهم المتخاذلة أن تلامس الحائط تجنبا للشمس .. تململ الأصلع .. سر الرجل الجيـــب فـــى نفسه أمرا منعه من التحرك من تحت الشجرة .. تطلع إلى الأصلع وأخفض رأسه :

- من رأيى أن تذهب إليه وحدك .

قال الأصلع :

- أتخاف الشمس ؟

تحركت الأصابع فى الجيب .. قال

- لا .. لكننى تعب جدا ..

اهتز الرأس الأصلع وصمت ..

-١٩-

جابت عيناه الرجلين .. أنتظر أن يأتيا .. يجاوراه الوقــوف .. أن يرفعــا الذراعين .. يبدوان لوجه الشمس .. فناقلة الركاب لن تأتى اليوم .. توطأت كل المركبات منذ الصباح .. أعلنت رفضها التام للمرور من هذا الشارع.. أنتظر أن يلفظ الجيب تلك اليد العابثة بداخله .. وأن يكف الأصلع عن نزح عرقه من فوق رأسه المنحول .. ومنخاره .. لكن ..

-٢٠-

همسا قال الأصلع :

- طال انتظارنا .. يبدو أن الأوتوبيس لن يأتى اليوم ..

قلقا كان الرجل الجيب ومقروفا .. قال :

- أول مرة منذ عشرين عاما يمنع المرور من هــذا الشــارع .. طــوال عمرى - وأنا فى هذه المصلحة - أركب من هذا الشارع .

- الشارع أصبح خاليا وغريبا ..

- ما رأيك لو أكملنا الرحلة سيرا ؟

- حقا .. الذهاب إلى البيت الآن هو رحلة فى صحراء قاحلة ..لكننــى لا أستطيع السير فى الشمس .

- ولا أنا .. إنها تصيبنى بالدوار وربما قضت على .

وتحسس خفايا الجيب .

-٢١-

" لن تستلقى جوارى الليلة .. إن لم تقدم للجوف قربانك .."

فى كل خميس .. ينعش فى الصدر القلب .. يلهب فى الجسد الرغبة .. ويحرك فيك الشبق الخامل من سنوات فى البدن المهموم .. امرأتك رائعة الجمال ومدللة .. ربة البيت المسيطرة وجسدها المشدود جلده رغم كبر السن .. تمتلكها بين يديك .. فلتصن فى الجيب قطعة الشيكولاتة "

-٢٢-

ما بال الخلق يدوسون وضوح الحق ؟..

ويهابون حبال الشنق ؟

وما بال الألسن قد قطعت ؟ ..

والأعين مثقلة الأجفان ../٤

-٢٣-

حارقة الشمس فى نهار قائظ ينسج فيه الصمت خيوطه .. أيكتشف كل الأنواء لحدوث حدث مبهر ؟ ..

ما بال الشارع قد قطعت عنه الأقدام ؟ ..

كان يمتلئ بضجيج القوم ولغط الأطفال منذ الأمس ..

-٢٤-

تجول لسان فى أذن الرجل الزجاجة .. لوك الكلمات :

- أنه يهرع فى كل مكان .. انه يشيع فى الجو الكلمــات .. يســكب فــى رؤوس الناس أخبار الأخوان حتى امتنعت بعض الأجواف عن شرب الماء البارد .

ابتلع الرجل الكرسى ..شربة ماء ..تطفئ فى الجوف الغليان ..

الزجاجة : هكذا ؟ .. هكذا ؟..التفت إلى صاحب اللسان :

ماذا تعمل أنت ؟..

اللسان : خفير المصنع ليلا .. وخادمكم المطيع نهارا .

الزجاجة : نظرا لحرصكم على سمعتنا المبجلة كن نقابى الشركة .

الأعضاء : يحيا العدل .. عاش البك المدير ..

ونيران الجوف المتقدة .. متقدة .. لم تطفئها الزجاجات الباردة .

-٢٥-

لعلع فى الجو المذياع .. رعدا كان . يصم الآذان ويبدد فى تجاويف الرأس الهم ..يا حبيبى تعالى .. يا حبيبى تعالى .. ومسجل يصرخ .. زحمة يـــا دنيا زحمة .. زحمة وراحوا الحبايب .. زحمة ولا عدش رحمة .. مولـــد وصاحبه غايب ..

تلفاز يتقيأ ذاته .. بابا عبده .. ومكبر صوت على عربة نقـــل .. بـــودرة للصراصير .. للنمل .. للبق .. للقمل خمس وتلاتين قرش .

كسياط هى الأصوات .. من كل الأمكنة تأتيه .. تحشو الرأس . فى الليـــل والضحكات - تحاربه - عنيدا كانت ذراعه المرفوعـــة .. لـــن تصيبـــه الأصوات بالخمول .. سيحمى أذنه بيد واحدة .. جندت كل الأجهزة المرحة والماسحة لهموم القلب الطافح هما .. لكن .. كان يقاوم (لن أهبط بـــه).

تصدعت تلافيفه .. فكر فى الحديث مع الجيران .. كل أصحاب الأجـــهزة التى تصادفه فى الطريق .. بهدوء .. أيـادث صمت النيل أيضا ؟

سخر من تفاهة فكره ..

أصبح أحدوثة كل الناس الذين يعرفونه .. هزوا رؤوس الدهشة والأثارة .. وصمتوا . واعتادت نظرات الغرباء على معتوهي العصـــــر .. فأشـاحوا النظرات .. وتواروا ..

-٢٦-

أحس الرجل الجيب بعظيم الذنب تجاه البيت .. لقد طال غيابه ..

(ستكون هناك مناحة وندبا .. ستحمل عليك حربا شعواء يشاهدها القـــاعد والواقف خلف الأبواب .. ستعلقك فوق لسانها وتقذف بك بعيدا حيث يكون فوق الكنبة رقادك)

دائرة الظل تحت الشجرة مرفأ قيظ .. تحرك ليخرج .. حام وهج الشمس.. على باب جهنم هو .. قال الأصلع :

- ما بال الواقف تحت الشمس ؟

تراجع إلى مكانه وجس الجيب :

- معتوه هو .. وعبيط ..

- تعال نحمله .

- والشمس ؟ ..

- حقا والشمس ؟..

- ٢٧-

حتما .. سيأتى .. هذا شارعه الذى يمر فيه .. سوف يرانى .

سيعاقب كل الذين تجاهلوا ذراعى المرفوعة من سبعة أيـــام .. ســـأشكوهم جميعا .. سأقول له أننى الرجل الوحيد وأخوتى معى – نحن الذين لم نأت من الخلف – نرفض شراب الزيف .

-٢٨-

خارت من الأخوة الأذرع .. تهدلت .. حين تدفق فيها بقايا الـــدم نبضـــت بقوة.. أحسوا بالتنميل يسرى بها .. رفعوها ثانية .. قالت الأم .. قابعة فى قاع الحزن .. تحمل خدها والرأس فوق الكتف المعروق :

– أنه لم يأت .. أخوكم تأخر .

– ربما بات فى الشغل .

لفظت آهة حيرى :

– أخوكم رفتوه .. منذ سبعة أيام .. رفتوه .

– سبعة أيام ؟!

– اذهبوا وابحثوا عنه .. أخوكم الكبير ..

قالوا :

– بالخارج ينظرون إلينا ضاحكين .. قائلين .. أبناء العم عـــاشور بـــدأوا يخوضون عالم اللوث .. لن نخرج ..

-٢٩-

مسح . رأس . عقل . عين . لا.لا.لا.

" علشان طعمتك يا حلاوة .."

رآهما تحت الشجرة .. عاشقان يتناجيان فى وله ..

" نقيت لك الورد نقاوة .. لا.. لا. "

طريق . خواء . أخوة . جيران . جوع . لا. لا.

مدائن مصانع .. أغلال .. مشانق .. حب وأثم .. أغانى ..لا.. شـــهور .
زواج . فقر . ياليل العاشقين . عظمة يا عظمة ..
لا . لا. لا. لا.
أسفنجية تلافيف الرأس .. يعتصر رواسبها والزمن المنسحق فيها ..
كان الرجل الجيب قد ضم قطعة الحلوى فى جيبه .. حين تفاقم فيه الخوف
خلع الجاكت .. قال :
- ياه .. القيظ شديد .
كور الجاكت بحرص حيث يتوسط الجيب قلب اللفة ..

-٣٠-

يتلظى السائق فى العربة .. تحت سقفها الصاج .. جفــف عرقــه .. منــذ
صباح اليوم ينقب فى الطرقات عن رجل مرفوعة ذراعه ..
حين رآه - صباحا - كانت كل الطرقات المؤدية إلى بدنه المتحرك .. تعج
بعربات القوم وأقدام المارة .. واشارات المرور والتوقف .
خواء كان الجوف والعرق النازف جفف فى الحلق الريق .. احترق القلـــب
المرهق حنقا .. والآن يزداد الحنق ..
(أتهرب منى ؟ .. أيوجد من يهرب منى ؟ .. أتجرى وأجرى وراءك ؟ ..
لولا الأمر لجريت خلفك .. وأنهيت بيدى .. مهمتى . لكنك أمامى الآن ..)
خارج زجاج العربة كان .. عودا أعجف .. مصلوبا تحت الشمس ..

- ٣١-

الأصلع قال :
- هناك عربة قادمة .

نصف كم قميص الرجل .. جيرى لحمه الأملس .. وضع الجاكت المكورة فى ظل جذع الشجرة .. والأصلع ..

- تعال نستوقفها سويا ..

- لا أذهب أنت وأنا أنتظرك هنا

- ولم؟ .. هانحن واقفان .

-٣٢-

ليس أحد يوقد سراجا ويضعه فى خفية .. ولا المكيال .. بل على المنارة لكى ينظر الداخلون النور .. ٥/

-٣٣-

الشمس فى الحارة .. متسلطة بشراهة.. انسحبت رؤوس أصحاب المحال فيما وراء الأبواب ..

أفتحت جهنم أبوابها .. وأرسلت خيوط النار ؟ .

أغضب هو يحيق بأبدان أبناء الحى ؟ .. ترى .. أفى كل الأحياء تكون الحرارة هكذا ؟ ..

تساءلت الرؤوس وهى تستقيل بدء لحظة التراخى.. إلا من نسمة هواء ..؟ خملت أبدانهم لدرجة الذوبان فى العرق والأختناق المستسلم لوقت قادم يكون فيه الهواء يقطع الكرتون والنفخ .. نسمة هواء يا رب ..

-٣٤-

أطفئ نار الحر بمشروب الحلو .. أستمتع مع مشروب الهناء .. مشروب "الدبانة " أفضل مشروب .

-٣٥-

شامبو .. لاكتويل .. لنعومة شعرك يا سيدتى استعملى اللولب النحاسى .. " تبس " يقضى على الحشرات .

-٣٦-

اقتلى كل من يشوه جمالك ويملأ البيت قرفا وزعيقا .. أغلفة الحب الملساء .. ملساء .

-٣٧-

تحت الوهج .. جاء رجال .. يدكون الأرض دكا .. مكتوفى السواعد فوق صدور ضخمة .. لهم نظرات نافذة وحادة .

-٣٨-

وهج مخنوق هو .. مرقت تحت الأرصفة أسراب النمل .. بـــرزت مـــن أسفل الحوائط القديمة السحالى .. لم تبد فى الحارة من قبل .. أطلقت مـــن مكانها الصراصير .. اهتزت شوارب الفئران فى البراح .

اشرأبت أعناق الأخوة خارج نوافذ البدروم .. تلفظ أنفاس الداخل .. لكنهم.. أصغت الآذان إلى الدبيب القادم .. ارتدت الرؤوس وأخرجت الأذرع مـــن خلال النوافذ .. ربما يكون القادم أخوهم .. فانهم - إن كـــان - ينفـــذون أوامره بدقة ..

-٣٩-

ارتكزت عينا السائق فوق الجسد المصلوب .. تحفزت نفسه التـــى ســـتنال الراحة بعد قليل ..

(نعم .. هكذا ..ببطء وروية .. أرجو ألا يتحرك بدنك عن وضعه ذاك .. فقد حاذيت مقدمة العربة بحيث تكون الصدمة فى العامود الفقرى تماما.. ثم يلتوى أو أو ينكسر ويسقط البدن لتسعفه فردتـــا الكـــاوتشوك الخلفـــى .. يالمخك الألماظ ياعبس ..)

قال الأصلع مندهشا :

- أترى ؟.. أوراق الشجرة يصيبها الجفاف .

قال الجيب وقد شرع فى خلع بنطلونه :

- أرى هذا المسكين وقد أحيطت به بحيرة من العرق .

(قربانى فى قاع الجيب يا أمرأتى الجميلة .. والخوف فى قلبى عليـــك .. فأنت مضطربة وقلقة على)

- الشمس فوق الشجرة عامودية .

(بمجرد أن تتزاح الشمس خلف البيوت .. سأحث نفسى على الإسراع ..)

تفرقت الأغصان .. بدأت تعبر من خلالها الشمس ..

لف البنطلون حول الجاكت .. ووضعهما تحت ابطه .. بالفانلة واللبـــاس .

كان واقفا .. مشروخا .. منتفخ الجوف .. نحيل الســـاقين والذراعيـــن .. قصير الرقبة ..

(إلىّ غير رضاك على ؟ .. أنت أنهاك الكبر عن أشياء كثيرة أولها أنـــا . حقى .. أنا التى أدلك فيك الجلد المتراخى .. أبعث فيك القوة .. ورجولـــة افتقدتها فى نفسك منذ زمن بعيد .. وأنا التى . التى . التى .)

- تعالى نعمل معروفا فى هذا الرجل .

- خارت قواى .. وقد خلعت ثيابى .. تعبا وارهاقا ..

(والتى أقوم بصبغ شعرك .. أنا مازلت بصحتى رغم حفنة الأحفاد . نعم. وأنت .. وأنت .. وأنت .)

أودعوا الزجاجات حدقات العيون .. نقبوا فى الحوائط مخدوشة البياض .. حدقوا فى الوجوه الفزعة .. اشتموا روائح صفيحة القمامة . رفعوا عن الأرض الحصير .. دفعوا الأريكة بأقدام تكاثفت فتحطمت .. تهاوت وتفتت وانبعث منها الصراصير .. أسرعت فى كل اتجاه .. تابعتها الأحذية . تدوس . فوق الزجاجات . الحائط والأوانى الصدئة .

قال أحدهم :

- انهم يقتلون الصراصير .

- هذه وحدها جريمة .

- ويخبئون زجاجات فارغة .

- أنى أشتم روائح حلوة .

- يفكرون فى بناء مصنع .. هذا واضح ..

- ليضاربونا فى الأسواق .

.. تهشمت الزجاجات والصراصير وكل شئ .. تطلعوا إلى الصغار الذين تداخلوا فى بطن الأم .. سحبوا الصغار .. لووا أذرعتهم الخيزرانية . طقطقت . صرخوا . تهاوت الأذرع النحيلة . ومضوا ..

-٤٢-

دع قلبك يتحدث وحده .. فما أحلى حديث القلب .. زاحم قلبى حديث هام .. طاف بالرأس المرهق .. ملأ الذهن .. طويلا . لكنى تعبت .. ووددت ازاحته .. كان يستباح رأسى بقوة ..

-٤٣-

أسمعكم يا سادة عصرى ..

تلقون على التهمة دون جناية ..

وإذا جئت أجادلكم فى شئ ..
قلتم عنى .. مجنون أحمق ..٦/

-٤٤-

والرجال أحنوا فوق الرجل الزجاجية القامات .. همسوا عن أمـــر مخبـــوء ظل العقل يجهله أسبوعا ..

اهتز عنق الزجاجة .. استفاق .. انتفض من تحته الكرسى .. نفر القلب .. اهتاج غيظا وزفيرا .. صاح :

– إنه ينافس الشركة .. عباس .. عباس .. أين عباس طيب .. طيب .

-٤٥-

ماد أسفلت الشارع بليونة .. امتط وماد ..تحلـــل .. لـــوث فـــى العربـــة الأطارات .. لزجا وهلاميا .. رويدا .. بدت الأرض شقوقا . تتعـــــرج .. تمتد وتتعرج .

-٤٦-

جفت فى الشجرة الأوراق .. تساقطت .. انزاحت حيث الشقوق وتوارت..

– أترى ؟! .. لقد أصبحت هيكلا عظميا .

– وأنت أيضا صرت عظما .

– لا أنت فقط .

– ان لم تصدق اخلع ثيابك وانظر .

بدأت الغضون فى التآكل والذوبان ..

حين خلع الأصلع ثيابه ..دهش .. أخذ العارى فى تكوير الثياب ليحمى بها الثياب التى تهرأت وبدت نسيجا .. ابتلعت شقوق الأرض رمادا كان ينساب من بدن الشجرة النصف .. تكومت أنسجة الثياب ..

قال العارى فزعا :

- لا بد من الذهاب .

ارتكنا إلى الحائط فى وضع استعداد للتراخى لملاقاة الأرض .

-٤٧-

استراح السائق ..

(خطوات وتنتهى .. نعم .. وكأنك لم تكن .. ما بال قدماك انغرستا فى الطين ؟ .. لا يهم .. فلا حرج ..)

والعجلات فى عجين الأرض تغوص .. لكنه يقترب .. اندفعت مبعثرة من حولها أتربة سوداء .. حين اصطدمت بالبدن العربة .. انتظر بعيدا .. تلقته الأرض .. تلوى.. انفصل الرأس . توقفت العربة وهبط السائق ينفخ ارتياحا .. اقترب منه :

- آسف يا صديقى .. لقد أتعبتنى جريا وراءك فى الشوارع والحوارى والميادين .. لكنى ها أنا أنتهى منك ..

قال الرأس الذى توسدته الذراعان المنفصلتان عن الجسد :

- لا عليك .. لقد أصبحت أنت .. هيكلا عظميا ..

بصر السائق نفسه .. بهر ..

كان رأسا يحمله ذراعان .. يتوارى بعيدا .. التفت السائق إلى العربة .. ملاذه الآن .. قطعة صلصال تحت الشمس هى .. تحللت .. امتزج الحديد والزجاج والإطارات .. تذوب .. تتسال ناحية الشقوق التى بدأت فى الإتساع ..

هوامش :

١- من أغانى معروف مطربيها .

٢- من القرآن العظيم .

٣- من قصيدة لنجيب سرور .

٤- الحلاج .

٥- من الإنجيل (لوقا)

٦- من قصيدة لأحمد سويلم .

أودع عياله الخمسة تحت الجدار .. واستقبل مدخل القسم .. لم يتطلع إلـــى السنوات المنتصبة المركونة بالخارج .. تكدسوا إلـــى جــوار المدخـــل .. شيعوه بنظرات حذرة .. كبلوه بها واقتعدوا الأرض .. ليس للقسم مدخـــل آخر يستطيع الهرب منه .

بالداخل خيم الصمت فوق رجل ضخم .. اقتعد مكتبا تعلوه شبكة الأســاور الحديدية البراقة .. بدا وجهه فى إطار بشع ..

قال الوجه المنتفخ فى هدوء :

- نعم ؟..

قال الأب :

- أنا الذى بصقت فى وجه الأستاذ .

- أى أستاذ ذلك ؟..

- أستاذ الكلية ..

- أية كلية ؟..

- كلية العلوم ..

- بصقت فى وجهه هكذا بلا سبب ؟!..

- .. نعم..

- لكنه لم يقدم فيك بلاغا .
- يجب أن يأخذ القانون مجراه .. بصقت فى وجهه ولديه شهود على أننى ملأت وجهه ببصاقى ..
- هذا لا يكفى ..لا بد أن يقدم فيك بلاغا .. أذهب .. وسنأتى بك .. عندما يطلب هو ذلك ..
- أنا لا بيت لى حتى تأتوا بى .. أنتظره هنا أفضل.

صاح الوجه المنفوخ :

- أهذه لوكاندة يا غبى ؟! .. أنت مخبول .. لن نصدقـــك بغــير وجــود الضحية ..

••••

العيال فى الطـــريق .. مزدحم .. ألتفت السيقان .. أغصان مـــن لبلاب يتسلل .. ملتوية وعجفاء .. ترابـــض نظـــراتهم فـــوق المدخـــل والجندى الواقف هـــناك .. ثم ارتفـــعت نظراتهم الـــى الســـماء وقـــرص الشمس المختفى وراء البيت العالى ..

(الشمس - كانت فى الخـــنادق - تطلع من الفجر .. عـــلى كل الأهالى والأطفال .. يفترشون عظامهم فوق الأرصفة .. ينقبون فى أكـــوام الزبالة عن بقايا لعب .. ويلعبون .. وتبعث الدفء فوق ســـقوف الخنـــادق الصاج .. تلهب الجدران حتى إذا كان الليل والبرد تظل الخنادق دافئـــة .. وفى ايام الغسيل تتألق فوق الطشت والرصيف .. فى الثياب المعلقة علـــى الحبل الممدود بأعلى الخـــندق .. وعامود النور المقابل .. فـــى الحشايـــا كانت وشبه الوسائد المطروحة فوق سور الكلية.

كانوا يلعبون .. وعند غـزو القيظ فـي الأمخـاخ .. يتفيـأون السـور والأم تحمل صفيحة مغطاة بقطعة كرتـون .. تحـوى مخلفـات البطون فى الليل لتلقى بها فوق المنحدر بأسفل السور فى حفر خصصـت لذلك ..

قالت البنت الصغرى:

- الشمس آتية ..

بين الشمس والأبدان .. شبر واحد .. لو أنزاح .. تجئ من فوق البيت العالى .. سوف تغمر الشارع كله .. ارتفعت الأصابع المتورمـة .. وضعت فى عين الشمس ليذوب الورم .. ملأت السيقان الرصيف .. طفل يقول :

- ها .. أبانا قد جاء ..

منكس الرأس فى عنق الأب المنحول .. أحدودب ظهره .. وقدم تجر الأخرى بصعوبة .. جاء .. سحبت طفلته الصغرى يده المعروقـة .. قالت :

- الشمس ساخنة يا أبى .. أقعد ..

يحتلون الرأس الفارغ .. هم .. اقتعد الأرض .. طالعته السـحب المتحركة فى بطء ..

(يارب السموات .. لم لا تنزعنى مـن قـهر هـذا الكـون؟ .. ماجدواى فيه؟ .. ألا تكفى سنوات القحط المارة فوق عظامى؟ .. أربعـون عاما .. ألا تأخذ بقاياى المتهدمة لتكون حطب جهنم؟.).

حدقته العيون الصغيرة .. اقشعر بدنه .. استقر فوق الوجه بحدة .. قال:

– لماذا تحدقون فی هكذا؟!

تلاقت أعينهم .. لوكوا الصمت والحذر وآثروا السكينة ..

(ها أنت جبت البلد بحثا عن أيها الأجرب .. أمضيت لياليك فى الحديقة على أولادك حارسا .. تحت ندى الليل البارد .. حتى بزغ الفجــــر كنت يقظا .. خوفا من نائمى الجوانب البعيدة فى الحديقة والضائعين فيــــها من ما سحى الأحذية والمتسولين .. أتطلب من السماء أن تأخذ بدنـــك؟ .. والبنات؟ .. والصـــغار الذى رفض مشــرف الملجــأ أن يتولاهــم معــا وقـــال لك ..

– نحن نقبل واحدا فقط .. أو أثنين على الأكثر .. كلهم مستحيل.

– تأخذ واحدا؟ .. والباقون؟!

– ألا مكان لك؟

– لقد أحرقوا الخندق .. طردونا.

(ألتهمت عينا الأستاذ زوجتى .. صرت أراها فى عينيه .. وفى الحدقة هى تنظر فى وتستغيث .. انتظرت صامتا أن تصرخ .. بصـــوت عال لأسمعها جيداً .. وأن يخرج من عينيه زوجتى .. انتظرت .. لكنه لم يفعل .. أغلقت عينى حتى لا تراها .. لكنها تعلقت بذهنى تســـتغيث مـــن صمتى وتجاهلى .. وصبرى النافذ .. كنت أعد بحلقى البصقة) ..

سأله المشرف :

– زوجتك؟

– فى المستشفى.

هرش المشرف قفاه :

– أستطيع أن أستلم منك أثنين فقط.

- بنات أم صبيان؟ ..

- بنات ..

حين تقدمت البنتان .. تقدمت الثالثة .. توقفوا الى جوار المشرف .. تطلع اليهم الطفل الأول .. توقف الى جوارهم .. تبقى الماسك بيد أبيـه .. ترك اليد وجاورهم .. نظر الأب فى عينى المشـرف .. واقـترب .. توقف الى جوارهم .. أشار المشرف نحو الباب المفتوح حيث الريح تصفر بالخارج والليل المقبل) ..

طويلة هى العمارة المقابلة .. بعين الولد كانت .. قال :

- حلو جداً هذا البيت يأبى ..

- درجاته عالية يابنى .. تقطع القلب.

زغر الطفل الثانى وقال :

- قلت لنا سوف تأتى بالفطور .. ولم تفعل .. أين هـو الفطـور إذن؟

أرتكن رأس الطـفلة الصغرى فـوق كتف الأب .. ثقيلا كـان الرأس .. بدأت فى نهش الكتف بأسنان حادة ..

(اقضموا منى ما تحبون .. لكن دعوا القلب .. فهو من نصيـب أمكم .. ادعوا معى أن تقوم بالسلامة .. نصف مخلص هى وخير رفيق .. سند فى كل الأزمان .. لا أقدر على المقاومة بدونها .. لقـد أحرقوهـا .. ليتنى ابتلعت فى الحلق بصاقى .. لكنى أردت إخراجها من عينى الرجـل .. أنت مذنب .. لم؟ .. أهدمت بيت مولدى بغربال بيدى؟ .. أنـه مـازال ترابا حتى الآن .. الى أن تسلمنا الخنادق من مأمور القسم منذ ست سنوات على أن يعوضنا عن البيت الساقط شقة فى المساكن الشعبية) ..

جفت حلوق العيال وأطبق عليهم صمت ..

كانت مكنسة منظف الشارع تقترب عندمـــا تواثبــوا قــائمين .. آخذين ذراع أبيهم .. حمل الطفلة فوق الكتف المتآكل وواصلوا المسيرة.

****

على البيوت الشمس .. تنسحب .. بدت فى عيون العيال الفرحـــة والتوهج .. وخيالات أرغفة وصوانى فطير الصباح الســـاخن .. ورجـــال يحلقون عربات الكبدة .. يأكلون ويولون العالم ظـــهور البخــل .. للثــوم والكبدة روائح زكية ..

التهمت الأعين الخواء .. وسكبت الصمت فى عينى الأب الـــذى نظر اليهم بعين الصمود والتجلد وقائد المسيرة .. بصقــوا كــل مـــا رأوه واختزنته الذاكرة فى لحظة التهاون الماضية ..

استقبلوا شارع فؤاد .. هدف الأب الأول .. والمتجدد كـــل يـــوم على مدى سنوات ست منصرمة آملين فى ورقـــة " بختــم " الـــوزارة .. تطويهم داخلها .. غلافا للعظام النخرة من ليالى البرد والعراء والخنادق .. تحملهم الى المساكن الشعبية.

حين أستبد بالأب التعب توقف .. أنزل الطفلة من فـــوق الكتـــف المتأكل والرقبة .. تهالكت سيقانه .. ارتكن بيتا جداره ناعما كـــالحرير .. استطاب لهم المكان .. وضع العيال ظهورهم .. سرت فيهم قشعريرة برد لذيذة .. حينئذ أدركوا أن الشمس قد التهبت أسياخها عبر العظام فى رحلـــة السير وهم غافلون .. عليهم الحذر وألا يركنوا اليها طويـــلا .. فـــالشمس غادرة كأرض بيتهم القديم .. مال رأس البنت الوسطى على أذن أخيها :

- جوعانة ..

وليقل هو لأبيه .. لكن أذن الولد اللينة راقت فى عينـــى البنـــت فقضمت منها خفية .. سمع الولد تلويك الأذن فى حلق البنت وصمـــت .. والأب كان بعيداً .. خفيرا فى مخزن حكومى .. حارسا لكل أوتوبيســات المدينة والعظام والجلد والمحن .. يستقطب داخله الهموم والحزن وسنوات الانتظار .. يحدث نفسه ..

" يا مدينة الشقق الخاوية .. لكل بنى آدم فيك شقة .. واحدة فــى وسط المدينة .. وأخرى على البحر يلعب فيها الريح .. لكن .. لو تخلصت من بقاياك .. أذيالك .. وبقيت وحدك .. أترك فى مدخل كل بيت ولـــدا .. العالم يدافع عن الأطفال .. أو ألقى عظمى؟).

تلقفتهم الأصابع المعروقة .. وضعتهم فـــوق الصـــدر .. أرادوا الدخول .. مزاحمة الصدر الدخانى .. سعل الصدر .. طردهــم والبلغــم للخارج ..

توجسوا .. أبوهم يحيك لهم ثوب المؤامرة .. لكنهم لن يلبسوه .. سيبقون عرايا .. وأن فعل .. سيفعلون هم .. قالت البنت الكبرى :

– لو بقيت فى ظهرك كان أفضل لى.

التوى بوزها الناشف .. ترصد مأكول الأذن فى البوز .. انقــض عليه آخذا منه قبلة .. مضغ القبلة فى صمت .. من الشارع طفل صاح :

– عربة الازالة .. الازالة ..

فى كل الأركان الصوت فـــى الأذان .. التـــهمت كـــل الأشيـــاء المطروحة خارج الدكاكين ..

(بشرى لكم يا أهـــل الخنـــدق ..) اقـــترب الأب مـــن حافـــة الرصيف.. فرحا .. زحفوا خلفه العيال .. تناثروا .. سيشاهدون ألوانا من المعارك والهروب والمطاردة ..

(فليأخذوا عظمى .. سيقانى .. لن أسأل عنهم ..)

توقفت عربة شرطة .. توقف لورى .. ضابط وجنوده .. جاءوا .. حملوا دراجة لبان .. كرسى بواب .. كارو تحمل زكائب نشارة .. ونظروا فـــى الحمار .. عندما شكوا فى حتمية مرضه .. أخذوه وسار به رجل .. نظر الأب فى العيال .. امتعض وتفصد منه العرق ..

أدرك العيال .. أن أباهم ذاك .. قد أسلم قلبه – حقا – لأمرأته التـــى فـــى فراش الحرق .. لتأكله .. فهو بلا قلب .. فليكن لهم قالبا .. قال الولد آكل الشفة وهو يتناول ذراع أبيه :

– هيا يا والدى .

– لماذا تمسكنى هكذا ؟! .

تعلق أخوه بنفس الذراع :

– لا يا أبى .. ذراعك حلوة .

فى المسيرة .. تواصلت فيهم أبدان الناس .. مارقين بحلى الذهب .. لابسى الثعالب والخراف .. والعيون الملونـــة .. وميـــازيب الدخـــان .. قـــاوموا التواصل .. ليتداخلوا فى كل هؤلاء .. فى رؤوسهم الجهمة التـــى جـــابت دور السينما وملصقات العرى .

استطال الشارع .. تسحب الأقدام .. رصيف المحافظة .. طويل .. وممتد .. أخيرا .. ضمهم رصيف المتحف اليونانى.. برقت فى عينى الأب فيـــلا

القوى العاملة واليافطة .. فيلا اتسعت غرفاتها الخاوية .. توالد فيها الفراغ وكانت للصمت بيوتا ..

(رفتوك من حراسة الأتوبيسات .. كيف ؟ .. لا تدرى .. الغياب .. تعاقب الليل والترصد الثلجي وبدنك ؟ .. لا تدرى .. صرت بلا سقف)

فى صباح فائت .. اختنق الخندق بالدخان .. التمت فى المكان العيـــون .. حولت الأيدى تراب الشارع إلى للمدخل .. أسرع الأطفال إلى منحدر الكلية الترابى يحولونه إلى المدخل بلافائدة .. لطمت الأم خديها فى ذعر (يـــا خرابى ..) وهج النار فى العيون .. وفى الصدر الفزع .. فزع مقـــهور .. ثبت فى الأرض الأقدام .. أطلت الشرفات التى فــــى الجـــانب الآخـــر .. اشرأبت أعناق وعيون .. ارتسمت فى حدقاتها صندوق قمامة مشتعـــل .. ويتواثب البدن المـــتورم يـــدك الأرض .. (عـــملوها .. عملوها ...).

وصدى صوت فى الدماغ .. يهز أركان الخندق وتلافيف الرأس .. لرجل أحمق .. يبصرها من خلف سور الكلية والنظارة .. حوت عينـــاه مفاتن الورم فيها .. لا تدرى هى كيف جاوز ذلك السور القائم بين العيـــال فى أحضان الشمس .. والصمت فوق الجدران الصدئة معلق ..

دار فى الظلمة النائمة بالداخل .. هز الرأس أسفا .. تحدثت اليـــه بمكنون الصدور الخربة .. عن العيال والصقيع وثقوب السقف والمطر .. وسنوات الأنتظار الطويلة .. وكأنه المحافظ أو الوزير .. لكنه كان ينـــهش بعينيه قطع اللحم المتورم فوق الظهر والكتفين والردف المتلاعب برأسه .. خبيراً كان .. يبحث مدى بشاعة الفقر والمكان واستحالة المعيشة فيــــه .. حيث الظلمة تتكاثف .. خاصة عندما يغلق الباب .. ولما اقترب وأغلقه .. أضاءت هى النور .. ليرى ..

ذعرت حين انفرج الشدق وتراقصت نظارته .. وبدت هى فـــى الحدقة .. الرغبة تلهث فوق لسانه .. ابتعدت والصوت يزعق فيها :

– تعالى .. تعالى .. سيكون كل شئ سهلا بعد ذلك.

صعقت .. ذهب هو اليها .. قال فى همس :

– ماذا تقولين؟ ..هه .. ماذا .. عيون الناس تحتويك؟! .. أتقولى جاء ليخرجنى من الظلام ويرفع عنى الحزن؟ .. لن يصدقوك ..

الترف المر .. الضغائن والخيانة واللحم الرخيـــص .. الرجـال الأقوياء والبغايا السافلات .. والنقود .. ألف لعنة يا نقود .. قال :

– لو تصرخين سيعرفون من أنا .. سيرفعون فى وجهك أصـــابع الأتهام .. أصرخى .. هيا اصرخى ..

لم تبال لصوته الموشوش فى الأذن .. القرد قرد لـــو ارتقـــوه .. مجدوه وسبحوه ..

فى لحظات الدهشة وموت اللسان يقـــترب .. تتســع الحدقـــة .. والخوف المرتعد .. دوت صرخة .. ابتلعتها الجدران الصدئة .. وتجمعت فى يده قوة المقت . هبطت فوق الخد الواهن والصدغ .. ارتطـــم البـــدن بالجدار .. وبين صوت الأرتطام وفتحة الباب .. كان قد خرج ..

فى المدخل هى .. المدخل دخانى .. تخترق كثافة الدخان بصدر صائح مذعور .. لم تلتفت لألسنة النار المندلعة من الداخل .. كان البـــاب مغلقا .. وكانت فى حى وسط هى والعيال .. كبقية الخلق هناك .. يطالبون بالمساكن ..

الأن كل شئ قد احترق والقلب .. وينظر هو من خلـــف زجـــاج النظارة .. لن ترحم عيناه اللحم المشوى .. يود فـــراغ الخنـــادق كمـــا ود

الجسد المتورم واستعصى عليه .. للعيال صرخات فزعة .. تلفتوا .. تفقدوا الوقوف .. أين هى؟ .. مأواهم اللحمى ...بيتا هـــى .. وقــالب حــب .. ارتاعت القلوب وحدقوا ...

الأم فى الدخان .. الدخان فى الخندق .. النار فى قلـــب يحــوى العيال والعالم وأثاث قديم ..

****

نظر العيال فى عينى الأب .. لم يكونوا فى عينيه .. هزه الأبـــن الأكبر فى كتفه :

- يا أبى .. أنت نائم وأنت واقف؟ ..

- أبدا .. هيا ..

والطفلة قالت :

- أنت ذاهب إلى المستشفى يا أبى؟ .. أتنوى زيارة أمنا؟ ..

قال الابن الأكبر والأب يطالع المبنى الكبير :

- أنها فى أمان الآن ..

(هذا هو مبنى المحافظين .. الذين يحفظون كل شئ .. المقـــاعد والمال .. وها هم حراس الحديقة والأبواب يحافظون على المداخل والنظافة .. وكيفية ضرب الأسلحة فوق الأكتاف وفتح السيارات التـــى هـــى آخــر عظمة) ..

أشار الطفل الأكبر على المبنى وقال :

- هذا سجن يا أبى؟ ..

قال الطفل الثانى :

- هذه مساكن الأغنياء.

والأب يقول :

– أنه مبنى المحافظة .. نحن ننتظر حتى يخرج المحافظ فنقابله.

اقتعدوا رصيف المتحف .. حلقوا أباهم .. أسند رأسه الى الحائط.

****

المرأة فى قعر الخندق .. بكت أعدلت هندامها .. لم تبد فى الشارع بعد خروجها من عينى الرجل الأحمق ..

(لم تحتوينى أعين ساكنى الشرفات؟ .. ورجل السـور .. أنـهم يبصرونى من خلف أضلاع النوافذ حين أطرح ملابسى والعيال .. أضـع فى عين الشمس متاعى القديم وعين الرجل .. أشعر بعينيه ترشفان بدنى .. تجتاح الجدران وتنفذ الى مسامى .. لم؟!) ..

شجرة مورقة هى .. سقاها البحر المالح ..

فى ركن الخندق تقوقعت .. تهتز عندما يدنو من بابها طـارق .. تفرح عند عودة زوجها الممصوص .. ذاهبا عنها كل صباح .. عائدا ليلاً .. تضم جفافه .. تزيح ضحكاتها التعب فيرتاح.

لكن الليلة جاء ..

جففت مقلتيها المحمومتين من الدموع .. وقدمت لـه الطعـام .. حين أنتـهى أسـند للحائط ظهره .. وأبصرها .. كان الدمع جافـا فـى العيون .. وفى صوت حزن وانكسار .. فوق الجسد تكـاثرت الـهدوم .. تخفى اللحم المتورم الذى اجتذب الرجل من خلف السور .. سأل :

– مالك؟

حملت خدها المهان وتكوم البدن مرتعشا .. قـالت مـا كـان .. ارتعدت وبكت .. توقفت حركته .. فى غضب قام .. تعلقت به راجية :

- لا تغضب .. انظر إلى عيالك ..

- لا .. لن أفعل شيئا .. يكفى أنك زوجتى الطيبة.

ألقى بدنه فوق الأريكة لينام .. قالت وهى تجاور العيال :

- كأنى لم أقل لك.

وصمت .. وأغلق عينيه .. لكن ذهنه المكدود كان يغلى ..

(أملى أن أبصق فوق وجهك .. أنها تستغيث بى .. أبصق عليك .. فقط أن يملأ بصاقى وجهك) ..

فى الصباح قالت له :

- أنت غضبان؟ ..

قال وهو يمضى :

- سأقول له أن لحومنا مرة الطعم .. فقط .

دار حول السور .. أقبل من باب الكلية العمومى حيــن اســتوقفه الحارس .. قال:

- أريد الأستاذ ذا النظارة قعر الكوب .

أشار الحارس الى مبنى هناك .. حول المبنى حديقة تبلغ السور..

- متى يخلع نظارته هذه؟

-حين لا يكون أمامه امرأة أو طالبة.

دخل المبنى .. قرع باب المكتب .. فتح له رجل .. سأله :

- ماذا تريد؟

- الأستاذ.

جاء الأستاذ .. استبد الخوف بكلماته :

- ماذا تريد؟

– أريدك فى أمر هام .. دقيقة واحدة .

انطلق الأستاذ خارجا .. متوجسا .. عندما صار بين الزملاء فى الفناء الخارجى قال والخوف يزول :

– ماذا تريد منى؟

كان البصاق قد تجمع فى الحلق .. بصاق سجائرى وملغـــــوم .. وجوها كانت .. قذف البصقة فوق الوجه وانطلق خارجا .. شيعته نظرات الزملاء الذين اندهشوا وتضاحكوا .. وقال زميل للمبصوق عليه :

– مجنون .. ضرورى .. مجنون .. حاول أن تنسى.

لكنه لم ينس ..

قال الولد الأكبر :

– أترى يا أبى بماذا أتيت؟

– نعم .. أرى .. أرى ..

– أنت لم تر شيئا .. من وقت طويل أقول لك ذلك .. أنت كثـــير النسيان يا أبى وذلك غير مستحسن.

كان الطفل يحمل لوحا كرتونيا .. قالت الطفلة الصغرى :

– جوعانة يا أبى.

أمتدت ساقه التعبة .. وأقتعدت فوقها البنت .

جاء الطفل الثانى بعصا من جريد النخل ..

(لو كان فى المبنى تمثال .. أو يأتى ضابط ويأخذنى .. أفضـــــل لى.. ألست مذنبا أنا)

ذهب الطفل ولوح الكرتون إلى زقاق مجاور .. والفتاة تواصـــل نهش الفخذ .. حين أتت على جزء منه اقتربت الأخرى واحتلـــت الســاق وبدأت فى الأكل .. تعارك الطفلان الآخران .. حوتهما عينا الأب ..

(أعرف أن سعينا المبتذل غير ذى نفع .. ســأفك عـن نفســى قيدى.. أهرب .. لابد أن أبحث عن مكان أذهب إليه) ..

كان الطفلان المتعاركان قد خرجا من عينى الأب .. بعيدا عــن وعيه .. لكنهما اقتعدا الأذنين .. قالا :

– لماذا لم تأمرنا بالسكوت يا أبانا ؟ .. ألم ترنا ونحــن نتشــاجر سويا ؟ .. أتريد الهرب منا ؟

صمت فى خجل وهز الرأس ..

جاء الطفل من الزقاق القريب .. يحمل يافطة من لوح الكرتـــون وعصا الجريد .. كتب عليها بشحم عجـــلات الكــارو " نريــد مــأوى .. ارحمونا .. "

تذكر الأب حى وسط ..

(بالأمس القريب حيث امتلأ الرصيف بالرجال والعيال والنســـاء والعجزة وممرات المكان وأبدان الكهول التعبة وأصوات الزعيق والبكاء .. موظفون يتألقون خلف المكاتب ..

– مالى أنا ومالك .. يارب تنتظر ألف سنة .. كله بالدور ..

– لكن سعادتك ..

– نام على الرصيف على البحر لا دخل لى .. كله بالدور ..)

– ما رأيك يا أبى ؟

تملقت البنت حامل اليافطة .. قضمت من خده قبلة .. كان طفلان يسران لحامل اليافطة شيئا ..

- أبوك يريد الهرب ..

سلم الولد اليافطة لأبيه حتى يتذكر فعله ..

- أتريد الهرب يا أبى ؟

نظر الأب فى فخذه المتآكل والطفلة تضحك وقال :

- إلى أين يا ولدى ؟

خرج رجل من المتحف يلبس نظارات .. رأسه مستدير مثل الكرة .. قالت البنت قاعدة الفخذ :

- المحافظ .. هذا المحافظ .

واليافطة مرتكنة إلى الحائط والولد الأكبر يقول :

- إنه تمثال هارب من المتحف .. جمدوا رأسه فبدت كالكرة .

كان الرجل ذو الكرة يقترب .. توقف أمام اليافطة .. نهض الأب متعرجـــا سيره ملقيا بالأبنة جانبا .. قال :

- ممكن خدمة ..

أجال الرجل بصره فى كمية اللحم الممزق وقال :

- من أنتم ؟

- نحن الغرباء .. جئنا نبحث عن مأوى .

- من أين جئتم ؟

- لقد خرجت من ملف الهيئة وإلى الأبد .

- لقد أصبحت مكاتب نخرها السوس .. كما تركتهم أنت .

فكر الرأس الكرة .. توسل الأب .. قال :

- وأنت تجاور المحافظ .. فكلمه لنا .
ابتسم الرأس .. قال :
- أنت تذكرنى بمارشى الحزين..بفانجلى وبرهوتـــة..أصدقـــائى القدامـــى العظام .
- لقد أكلت طعام المائة سنة .. وليتنى كففت عنه .
- والمطلوب منى الآن ؟
- أن تكتب حكايتى للبك المحافظ .
تأسف الرأس الكروى :
- لقد غطيت قلمى منذ أمد بعيد .. لقد صدأ .. أوقفونى عن اللعـــب فـــى الساحات .. لعبوا برأسى فى ملعب البلدية .. أنـــهم نـــائمون الآن .. لـــن يوقظهم خبطى فوق الجدار .. أو شكاواى .. انتظر أمـــام المدخـــل حتـــى يخرج .
تدحرج الرأس منصرفا .. تطلعوا فى الأب العيال .. الولدان على اليمين .. البنتان على شماله .. والصغرى احتلت الكتف ..
(ألا تذهبون عنى .. انتشروا هيا فى المدينة .. ابحثوا عمـــن يـــأويكم .. دعونى أرتاح .. أستكمل نفسى) ..
وأذن البنت فوق الرأس تتصنت ..أشارت لأخوتها من فوق .. بأن يـــرأس الأب كلاما ..
قال الولد الأكبر :
- ارفع أنت اليافطة .. ونحن نمشى وراءك .
- أنى كبير السن يا ولدى .. وعيب أن أرفع هذا .

– العيب أنك جئت بنا .. لم نكن نرغب فى هذا العالم الموبوء المفطور القلب .

حمل الأب اليافطة .. إرضاء للسيقان المصلوبة .. مسئول هو عن هذا الحشد الهائل .. ليوارى اللحم العارى .. يطعم أفواها تلفظ غيظا شائكا .. ويثوى الأبدان خلف جدار .. أو قبرا يثوى بدنه ..

مسجى بدن الأم أمام الخندق .. ينتظر الإسعاف .. يتأوه ألما .. حانية عيون الأبناء المنسكبة .. تبصر هى عيون القوم وتبصرها .. ترى لحم القدمين والذراعين والعنق المشوى .. ترتجف .. والدخان كريهة رائحته .. مخلوط هو بمتاع رث .. مراتب قديمة ذبلت فيها كتل القطن وسنوات البول .. تذكر يوم انحط البيت فى غربال .. تصدعت الجدران وتداعى بئر السلم .. أصرت على البقاء فيه .. أو الموت تحته .. كان المالك يضحك سرا .. بعدها تساقطت الشرفات .. وتصاعدت سلالم المطافئ .. وهبطوا بالسكان عنوة .. قالت لهم النيابة فيما بعد السقوط :

– لا تزعلوا .. حقكم محفوظ .

.. وفتحت أبواب الجيران .. تقطعوا العيال فى البيوت .. حين استطالت الإقامة .. ثقلت أبدانهم والأيام .. أعانه المأمور بالخندق .. الزملاء بالنقود.. أتت هى بالأثاث .. جديدا كان وغاليا .. غاليا ..

****

تسلقت نظراتهم الماكرة بدنه .. تحركوا .. ووقف الولد الأكبر على يمينه.. والآخر على يساره .. تقرصت البنتان فى المواجهة .. يحاذرون الآن استنامت قاعدة الكتف فوق رأس الأب .. دارت عيناه فى محجريهما .. لمح الأعين تعد نفسها للإنبعاث .. كانت تتراشق فى مسامه بشراسة ..

تداخلت واستقرت فيه .. أذابت القوة .. شلت تفكيره .. الرهبة المقـــهورة تنفذ إلى الجلد .. استباحوا الرأس والعيون .. بدأوا يرحلون عبر البـــدن.. ثقلاء فيه يصرخون فى باطنه .. يصدر عويلهم فى تلافيفه .. يســـتميتون بالداخل .. ينتهكون منطقة الصدر .. حين أراد المقاومة تخاذل .. تداعى.. اقتعد الرصيف ..

عندما خرجوا تاركين فى البدن الهزيمة قال :

- لدى حل للكل .

حيكت حوله المكيدة .. قوية الحبكة .. قال الولد الأكبر :

- قل لنا ماهو ؟

- أن يقعد كل واحد على قارعة الشارع .

فكروا .. إنه يحاول التملص .. لكن .. قالوا :

- لم نتعود على الشحاذة .. ونحن نعانى الجوع .

- إنه يريد تفريقنا فى الشوارع .. لتبول علينا المزاريب والسماء .. يأكلنا فى ليالى البرد الثعالب ويسخر منا عيال المدارس ..

- جوعانة .. جوعانة ..

قالت البنت .. رددتها العقول .. فى الحلوق هى .. والبنت من فوق تواصل التصنت .. والولد يقول :

- نحن لن نشحذ ولن نقعد على الأرصفة ..

- لكنى أريد زيارة أمكم ..

دفعوه .. واجهتهم بوابة المبنى الكبير .. توقفوا حين بدأت البوابـــة تلفــظ قاعديها من الثعالب .. كم يحوى هذا الجحر من الذكور والإناث ؟!

تصدر باب الحجرة .. تعلقت بساقه الأيدى .. شـد الساق .. واهية .. واليافطة .. والطفلة .. والطفلان يقتسمان الساق .. يمضغـان جلدهـا .. والعجب فى عيون الثعالب والإبتسام .. يمضون .. قال الصبى لأخيه :

- سوف يهرب منا .. خذ بالك ..

- لن يسألوا فيه .

ينهشون فى الجلد .. يبصقون الشعيرات .. والشـارع يخلـو .. وشمـس الظهيرة شعاع يشع .. كانت حانية حين خـرج الثعـالب .. تفـترش الآن الأسفلت .. تمرح .. تبخر الماء فى الأرض والبصاق .

سحقت نفسه الثعالب وكبيرهم الذى لم يأت .. انطمس فـى رأسـه أمـل كان..عليه أن يجدده فى الصباح .. تهالك وقال :

- سوف ننام هنا حتى يأتى الصبح .

تمدد تحت جدار أملس لبنك مغلق .. لم تدع البنت الكتف .. أيقن العيال أنه يقظ رغم شكله الميت .. فكر ..

(لعل الليل يأتى بشرطى يأخذ الجميع .. أنتظر حتى يناموا ثم أذهـب .. أطمئن على المرأة فى المستشفى ثم أفر .. لابد من الهرب .. لقد تعبت) .

انهمكت البنتان فى مص أصابع الأب ..السيقان المتراخية أكثر لذة الآن ..

رأت الطفلة المترصدة نقاطا مائية تنحدر على جانبى الوجه .. امتد لسانها الرقيق ولعقت الخدين .. لم يكن للأب سيقان .. والقلب فى كنـف المـرأة هناك .. يود لو يذهب ليأتى بجزء منه ..

اقترب الولدان آكلا السيقان من منحدر العينين .. شربا .. حتى فاض بهما فانسكب الماء من أعينهما .. وجاورا البنتيـن القعـود .. قـالت الطفلـة الوسطى:

- أنام .. أنام ..

تثاءبت قاعدة الكتف .. نامت هناك ..

فتحت فى الصدر طاقة .. ضمت عظام البنات ..أقبلوا بـــالداخل .. أغلـــق الطاقة بيدين تعبتين .. قال الصبى آكل البوز :

- دعه ينام الآن .

قال الطفل الأكبر :

- لقد تعب وزهق .. يجب أن نحرسه وإلا هرب منا .

- قف أنت عند الرأس .. وسأحمى أنا القدمين .

- ضع اليافطة فى حلقه .

•••

زاح الليل الشمس واستقر مكانها .. ولأنه جاء .. أثبت فى الكون وجـــوده .. قاتما .. باردا .. دق فى أبدانـــهم مســـاميره الرصـــاص .. فـــارتجفت وقاموا..

لفظ الأب اليافطة .. استعاد من البطون سيقانه .. استمد قوته لما وقـــف .. تمطى .. تنفس بقوة الغضب المخبوءة فيه .. تساقطت البنــــات .. حمـــل اثنتان فوق الكتف .. حمل الولد الأكبر البنت الصغرى .

فى الخلف أقدام الصغار .. وفى المقدمة الأب حامل اليافطة ..

بدأوا يشقون الطريق بخطوات واهنة نحو شارع صفية زغلول.. مبهرجـــة الألوان ومبرقشة .. تتلوى أبدان .. تتسكع أمام المحـــال والفتـــارين ودور السينما .. يواصلون المسيرة .. تعلقت بهم العيون .. هدفا هم فى الزحـــام .. يخترقون الناس إلى محطة الرمل .. عاليا رافعين رؤوسهم واليافطة...

" نريد مأوى .. ارحمونا "..

إن خلص الفول .. أنا غير مسئول ..

صوت مدو يغنى. انطلق بين الصمت وركود ركاب ترام خط الورديان .. شق الأدمغة الشاردة واستقر .. فى لحظة الدهشة المباغتة ومشاعر النعاس، باغتهم بقوة انطلاق العقيرة. صاعدا من بين الأبدان المتكدسة فى تلاصق أليف .. يغنى بكل مشاعر الأسى الكامن، انطلق .. وكأن قارورة سائل متفاعل ارتجت، وفارت وانتزع غطاؤها فانفجر بين الزحام.

يغنى باختلاج شجن غريب أثار الفضول .. لم تكن الدهشة لسماع الأسى المتفجر والصاعد من القلب، ولا لانطلاق الصوت فى هذا الوقت من الصباح .. المدهش، والذى أناخ بعض الرؤوس ولوى الرقاب وأدار المناكب، ويوجهوا النظر والآذان تلك الكلمات المنغمة، الموزونة، والمزرقة بأنغام بالغة الوجد والصدق والحنان لحد إثارة مشاعر الوجع .. استحضرت الأمخاخ أشكال الأطباق، الأقراص والحبوب .. موال صعد من جوف أجوف، مدفونة فيه الصرخة منذ القدم ..

أفضل أقول .. وأعيد وأقول ..

يا ... آ ... آ ... فول. يافول ...

المحور الشاغل .. مطبوع بالأذهان .. يحشو تجاويف الدماغ ..
مألوف .. رفيق الخلق المقهور .. هو الدائم والمتبقى والمنظور .. السيد والمسود .. الجائل والمتجول بالشوارع وأروقة المصالح ودهاليز البيوت .. الصامد أبدا بأغلب الأجواف .
أرهفوا الأسماع .. هو كذلك الآن .. مؤكد ..ولكن أن يصرخ متغنيا بـه، فهذا هو العجب والغرابة إلى الحد الذى شد انتباه البشر واستحوذ على المشاعر فأخذتهم نوبة من الشرود والتوهان .. وكأن الصوت الصادر امتلك عنهم قبلة التعب ، فتنهد البعض بمخبوء القهر ، فمالت الرؤوس شجنا.. وتطاولت رؤوس تنشد رؤية المغنى المقهور .. المتوارى بين الزحام .
كان الصوت يدنو رويدا من منتصف العربة الأولى ، بينما العيون تفتش بين الأبدان بحثا عنه .. أهو قصير القامة ؟ قاعد هو .. ؟
(يا فول .. يا أ .. أ.. فول ..)
ردد القول بعض الواقفين بالوراء .. كورس .. وأيقن البعض أن الرجل أكيد معتوه .. مخبول الدماغ .. ممزق الثياب يتدلى لعابه فوق صدره .. فكروا ..
وأفضل أعيد .. وأعيد وأقول ..
إن خلص الفول ، أنا غير مسئول ..
عقبت أصوات الإستحسان ، وطلبت المزيد ..
رددت النغمات أصوات أطفال المدارس المتكدسين فى العربة الثانية .. نفس النغم الأسيان المقرون بقهر طالع ..

والدهشة تخبو فى العيون لتبدو على الوجوه انفراجات الأذهـــان الواجمـــة، وتوشك على الضحك .. باستحياء .. بدأت رؤوس الســـيدات الوقـــورات المحجبة تشرئب فى محاولة لكبت رغبة المشاركة بتوق رؤيـــة المغنـــى.. المنشد .. المقهور ..

تعالت طبقات الصوت بمشاركة أصوات أطفال آخرين .. صبيان الورش، وتلاميذ المدارس .. كان الصوت يدنو.. أفسح له الذين بالجوار .. والتصق به آخرون .. كانوا يودون الإلتصاق بـــه والإمـــتزاج ليعـــبر بأصواتـــهم المحبوسة .. يحثونه على المواصلة بالتوسل ..

- الله .. الله .. "والنبى قول كمان "

- من تانى .. الله ..

كان رجلا مهندم الثياب.. مألوف الملامح .. كثيرا ما رأيت وجهه الوقور يشاركنا الركوب من محطة الورديان إلى محطة مينا البصل حيث يختفى.. ملفوف بصمت ودود .. يزين رأسه الأصلع بعض شعيرات بيض ..

يا فول .. يا فول يا فول ..

تتواصل أصوات الأطفال ..تتكاثر .. يرددون ..

وأنا غير مسئول ..

ضحك الشيوخ .. بدا فراغ الأفواه .. هزوا رؤوسهم فى تعجب .. تحدثوا بأصوات عالية عوضا عن صراخ الحسرة الكامن.

- مسكين .. أى والله مسكين ..

- كلنا مساكين .. لكن هو عنده الشجاعة .

والأفندية المتأنقون ، القاعدون باحترام مذهل، تمايلوا وطووا الجرائـــد .. والأخوة الملتحون، أغلقوا المصاحف .. اقشعـــرت جلودهـــم والمشـــاعر،

فراحوا يدندنون بما توارى فى القيعان .. فقد تفـــاقمت مظـــاهر الصمــت الوقور الزائف والشرود شديد التصنع الذى يوحى بغليان الصدور .. كمـــا لو كانوا يعدون أنفسهم لنوبة صراخ عارم، فانطلقت منهم الحنلجر تردد ..

يا فول .. يا فول يا فول ..

تمنيت لو أقول .. أطلق عقيرتى ..

تهيبت من أولئك الذين افتعلوا السكوت والمهابة .. خمنت .. لابد .. أنـــهم صم بكم .. كانت أعينهم تدور، وتتساءل ..

تداخلت أصوات الطلبة .. ارتفعت بشكل منسق مع أصوات رجال شـــون القطن وعمال الشحن بالجمرك .. أصوات جهورية ، غطت على أطفـــال المدارس ..

يا فول .. يا فول .. - وأنا غير مسئول ..

يا فول .. يا فول .. - وأنا غير مسئول ..

تساوى النغم .. توارى الضحك ..

وصارت المسألة أكثر جدية ، يصعب معها أى مزاح .. الكـــل يغنـــى .. يصرخ .. يطلق الهموم المتراكمة المكبوتة ويغنى .. شرد المحصل برهة وترك دفتر التذاكر ورافق النغمات يهز قدميه وقرع حذائه فـــوق خشـــب أرض طاولته .. ثم انشغل بالتحصيل وهو يـــردد مـــع الإيقـــاع بصـــوت خافت.. لكنه استجمع قواه المشوبة بالخجل ، ودخل بصوته مـــع ارتفـــاع الأصوات رويدا .. رويدا ..

يا فول .. يا فول .. - وأنا غير مسئول ..

ورويدا .. بدأت الأصوات تتخافت ..

كانوا يوشكون على البكاء ..

همس رجل لآخر ..

- مخبول .. ؟

- وهل وحده المخبول ..؟

والموظفات ..الممرضات .. والحركة المحسوبة ، والنظـــرات الثابتـــة .. اتسعت دوائر الأسى فوق الوجوه ، حين شاهدت الجســـد المجـــهد لرجـــل مهندم ، اندمج فى الغناء ، وقد تحشرج صوته .. وبدأ الحزن يطويه رويدا .. تحت وطأة أصوات المجاميع .. ورويدا .. تلاشت أصوات الأطفال .. التلاميذ قد ذهبوا .. وصعد ركاب واصلوا الغناء .

وأنا غير مسئول .. يا فول .. يا فول ..

ينخفض الصوت .. يوهن .. يوهن ..

أصوات تتعالى .. تتسابق .. تتبارى ..

والصوت المنهك يوهن .. وبدنه المجهد يدنو من باب الـــنزول المجـــاور لسائق الترام القاعد بهدوء وجمود .. رفع المغنى يـــده ومســـح دمعتيـــن انحدرتا على خده .. ترقرق الدمع فى بعض العيون ..

اعتقد البعض أن الدمع من تأثير البرد .. أو الضحك .. وارى الرجل دمعة بكم سترته .. والأصوات تخبو ، تعود إلى الصدور .. رويدا ..

حين هبط فى محطة مينا البصل .. خفت حدة الغناء .. قال أحد الركـــاب بحماس وكأنه يكشف لأول مرة سر هذا المغنى ..

- تصور .. هذا موظف محترم فى الحكومة .. و.. يتساقط الركاب فـــى المحطات .. يتناقصون ليحط صمت كئيب على الذيـــن تبقـــوا .. كـــانوا يعالجون الصمت المباغت بصمت مصطنع وشاق ..

حين شرعت فى النزول دهشت لصوت قائد الترام المتجمد القلـــب يدنـــدن لنفسه .

يا فول .. وأنا غير مسئول .. وأنا غير مسئول .. يا فول ....

من نافذتى .. بسطت على المدينة يدى .. ضحكت .. طـــالعتنى مربعات متقاطعة .. يحدوها القضبان.

ترتيلة ١ :

توسدنى الحلم المفرح .. فى لحظة أقصانى بعيدا .. عربة عظيمة التكوين تمتلكنى .. تحتوينى الدهشة .. مأوى فى بـــرج عـــال .. يـــأوينى والدفء .. وحديقة فى الأرض كانت لمرتعى والعيال .. وألفا مـــن أوراق النقد الحمراء تسد الأجواف المثقوبة .. أحلم .. أحلم ..

كان الصبح متاحا ..

والضحك الصاعد من أعماق القلب متاحا .. الرقص المخبوء خلف مســـام الأبدان متاحا .. والشمس تطل .. والظهر فى أمتعة الجـــيران متاحـــا .. والليل الساكن تحت وطأة الهمس للناس متاح .. أن تفعل فى الشارع كـــل الأشياء .. تضحك .. تتلمظ .. تفرز تعـــب النـــهارات ســـقما .. يشربـــه القاعدون بلا أفعال.

تتجشـــأ أسراب المرق العابر أحيانا - بعـــد عشـــاء البعـــض - وذباب .. وتـــدخن نسوان الدهاليز القهر المتدلى من علياء الجو فى صمت .. وانتظار ما لم يأت ..

تفرغ أجواف عيال الحى افرازات كالسيل المتدفق .. ثعابين تعوى .. صراصير تسعى تحت الشبابيك الصاجية .. للأكواخ ..

تجرؤ كل الأفعال أن تفعل ..

يأخذ شكل الأكواخ أحجام ذوى الأدمغة الهشة .. لو تفكروا فـــى تدليك كعوب الأقــدام فى أسفلت الشارع لازالة القشــــف الرابــض بيــن الشقوق ..

....

ترتيلة ٢ :

تلكزنى النملة المصعوقة .. يصفر بأذنى صوتها الرتيب .. تدخل مسامى قرون الأستشعار .. ارتجف .. تلعق مخى وأنوح .. أنظر حيـــث تساقط من كفى – الرجفة – وكوب الشاى .. يرتج بعينى التقسيم .. تمتزج المدينة هناك .. وتحت القضبان .. أنظر النملة المبهورة .. يتباعد فى نواح الصوت .. وأتطلع من نافذتى .. يطالعنى جدار زريبة تجــاور بيتــى .. تموج النملة فى التلافيف .. أتملمــل .. يدغدغنــى الصــوت .. وقــرون الأستشعار .. اليها البصر المرتعد .. مرتدا .. بعض من جدار الزريبة .. أقعد .. وتهجرنى النملة ..

تراود رأسى قرودا كانت .. تعترينى .. أتنـــاول كــوب الشــاى الفارغ .. أستحلب قعره .. تلكزنى النملة المبهورة .. أضطرب .. تأخذنى فى النافذة .. جدار الزريبة .. احتواء الجواميــس .. جــهيرها الصـــاخب يؤلمنى .. تجوب عيناى الحائط .. فى الأســفلت جاســت .. روث بـــهائم وعيال وأرض قحلة .. كلب أقرع منحول .. يخطف من طفـــل لقمـــة .. يصرخ للريح الطفل ويجرى .. يزدرد الكلب اللقمة .. تسحب أنيابة قفطان

الطفل المسرع نحو الكوخ .. يرتد الطفل الباكى .. يحتضن الكلب الراقص بدنه .. يربت على ظهره .. يعانقه .. يقبله .. ويخرج من جيب القفطـــان لقمة .. يمضغ منها قضمة .. يقدمها لحلق الكلب المفتوح .. يمضغها فـــى تركيز .. و ..

- تتراقص مؤخرته والذيل ويهتز فى وجه الطفل المنتشى ..

••••••

ترتيلة ٣ :

أقعد .. أمصمص قعر الكوب الفارغ .. تتـــهافت مـــن جدرانـــى الملساء قرود تغزونى .. أستباحت النملة رأسى .. تأكلنى .. تعتلـــى بعـــد ذيول القرود تلافيفى .. تقشعر بدغدغة محببة فيقشعر بدنى.

ترفض أن ألمح فى وميض الذهن حين تضيء .. مقاعد الجبلاية بحديقة الحيوان .. فحين تواجد بدنى - زمانا- قعدت مع القاعدين ..نفرت من الكرسى الحجرى مؤخرتى .. وقفت أطالع فـــى محيـــط " الجبلايـــة " القرود .. تتلاعب الذيول من وراء الكراســـى .. تضخمـــت المؤخـــرات المحمرة .. يتحركون بخفة كسولة .. مطمئنة أصواتهم الهادئة ..

عن نسانيس المتاهات يقولون:

- كيت وكيت .. وكيت .. ويجب أن تكون ..

وفى سكون يفعلون ما يؤمرون به .. وحين تنحنـــى الظـــهور .. تبرز المؤخرات المحمرة وتتضارب فى الصف الخلفى الذيول .. وعنـــد هبوب الريح .. يكتمون فى الصدور الأنفاس .. تقتل فى الأعماق .. حتى لا يساعد الزفير انتشار الرياح .. وحتى لا يزجرهم الحراس ..

أيتها النملة .. اخرجى عن تجاويفى ..

••••••

ترتيلة ٤ :

رهيبا هو دبيب النملة حين تهرول صوب الحجر فى أثر الـــدودة نتاج السنوات السبع.

•• •• ••

يجيئون .. يجيئون ..

دفعوا الباب بأقدام جهمة .. غلاظ التكوين .. ذوو رءوس ضحلة .. ضحلة .. هامت فى الأركان الأبدان الحجريـــة .. تراصـــت تنـــاولت الأيدى الرأس المتداخل بين الساقين .. فتركوه .. دعكوه .. مضغوا الأنف والأذنين وخرقوا العين .. وقذفوا به فى عرض الحائط تساقط .. حملوه .. ألف أصبع فى اللحم كان مغروسا .. لكن اللحم الجاف ترتد منه الأصابع .. ابتلعت صرخاته الضربات ..لم يع رأسه المتدلى لم شملهم مـــن الأركـــان واخلاء الحجرة منهم ..

••••••

ترتيلة ٥ :

لملمت النملة أشلائى المتناثرة فوق الحوائط والأركان .. أقبلـــت الى أذنى ..

- من أى مكان يأتون؟

فى لحظة الافاقة تمتزج بمخى الألوان .. جدار بـــاهت وســقوط بياض .. بيان الأحجار المتراصة عارية ..

- من حديقة الحيوان .. من جبلاية القرود ..
- ولماذا يأتون دائما؟ .

تتلاقى برأسى الألوان .. دوائر سرعان ما تتقشع لتصفر عن لون واحد ..

- أرفض أن أكون قردا .. ولن أكونه .. يريدون تلوين مؤخرتى .. أرفض .. وسلسلتى الفقرية .. أن أمنح ذيلا ذهبيا ..

- أذهبت لتعمل حارسا .. أم قردا ؟

فى وسط المدينة والأطراف .. ودوائر البقاع القديمة .. نصبونى راقصا .. طبلت الأيدى وصفقت .. وعزفت المزامير فى الحارات معزوفة الزمن الجديد .. فتحت المغارات المهجورة .. أطلقت من سراديبها الثعابين .. تصايحوا فى المدن والغابات:

- (قردنا هذا الذى لا يعض) ..

نقشوا باللون الأحمر على قشور الحوائط " قردكم الأمثل " وفوق صهاريج النقابات والأسيجة " قردكم الموقر" .. وعلى مصـــابيح الميــادين لصقت تصاويرى واسمى .. رقم دائرتى وذيلا مستقيما أسفله أصبع مـــوز .. رمزا كان للملاينة وسرعة التقشير وإمكانيـــة تشكيــل المضمـــون .. نصبونى فى الحديقة قردا ..

النملة قالت .. وسر القوة الكامن فى قرون الستشعار برأسى :

- أهؤلاء الفيلة من حديقة الحيوان التى كنت تعمل بها؟

أرفض نزع جلدى .. تقشيرى .. تفعيصى .. أو تلوين مؤخرتى .. تعجبنى مؤخرتى المسودة .. وتصرخ النملة فى تلافيفى .. تؤنبنى :

- ولماذا لم تعمل قردا؟ .. أقلها تخرج لوجه الدنيا ..

......

ترتيلة ٦ :

ألفظ من نافذتى الضيق .. أستلهم صبرا محترقا من عالم مبصوق .. يطالعنى جدار الزريبة .. لكن النملة جاءت .. التصقت بافريز النافذة الأسمنتى .. تسحبت فوق جدار الزريبة نظراتى .. تعلقت بحدقتى النملة .. لكننى .. لكننى ..لكن هناك .. ثدى مقطوع من صدر امرأة لرجل آخر .. يستحلب لبنه شاب نشوان شبقى الأفعال .. انتصب ..

والرجل القادم من قبل الكوخ يمد الخطو الأعرج .. ابتلع الشاى الثدى .. أخفاه فى حلقه .. وما زال منتصبا .. نزعت المرأة الثدى المقطوع .. وتبخترت نحو الكوخ .. والشاب النشوان دفع الرجل القادم حين أتاه ..

أنت فى السقوط عظام الوهن .. وانطلقت من قلب الكوخ المرأة .. خلعت عن عنقها الثوب ونامت .. ألجمت الثدى الآخر حلق الشاب .. ارتقى الشاب العفة وانتهك التراب فوق بدن الرجل - يمور - واللحم المتداخل ممزوجا بلزوجة أطراف اللذة وروث الأرض ..

••••••

ترتيلة ٧ :

فى الصدر الركبتان .. تداخلت سيقانه .. التفت حولها الأذرع تلاقت عظامه فى تماسك أبدى .. أصبح هلاميا ..

تقوقعت ..

برأسى الثدى المقطوع .. الشاب منصوب الأفعال .. بقرت عضوى المفتول النملة .. دخلت فى .. تأكله .. تأكلنى .. تلعقنى..

- فكر فى لوحدى ..

أعرف – فى كتاب التاريخ الآن – أن الألف المنصوب – محنيـا سوف يكون – بأمر زراع مناخ الكون .. وبأمر النملة الشبقة منصوبـا .. وأن أعمدة العاج القطرانى تحت الكف مرفوعة بالقبضة .. قسرا .. لكـن دخول الرأس فى الكون العتمة .. يفتك بخفايا القلب .. ويهزل فى الشريان القوة .. يمتص الدم الممصوص .. وتأكلنى . تأكله .. أكره أكلان النملـة فى ..

......

ترتيلة ٨ :

الباب يدق .. يرتعد القلب فى الكتلة الهلامية ..نحو الشق تهرع النملة .. سقط على الأرض شريط الضوء .. تمدد ..

قادمون .. قادمون ...

نسوانا كن .. انحشرت فى مدخل الباب رءوسهن .. غليظـة .. دفعن المدخل فتزلزل سقف البيت .. انداح شريط الضوء تحت الـرءوس الكبيرة .. فتلن شوارب فى الوجوه كليف النخل كانت .. بنيـة اللـون .. بأصابع كالمنجل .. ضحكت أشداقهن .. طقطقت عضلات كل فك وناب .. اهتزت أردافهن النحيلة .. وسعت أحداقهن الكتلة .. وتقدمن ..

انكمش .. حوت يداه الرأس .. تلفحن بالصمت .. أكثر تركـيزا كن .. امتلأت بأبدانهن الأركان .. واستباحت الرهبة الوجوه .. مضـض الغيظ والقنوت .. حملته المناجل .. ضم نفسه .. جردتـه المنـاجل مـن عظامه .. تداخل .. خلعت ثوبه الداخلى .. وتضامن مع الكفين رأسـه .. حملته من شعيرات العانة .. صرخ .. وفيما تحت الابطين .. صـرخ .. علقته فى مقبض الباب .. تخاذل .. تدلى فتحن سيقانه .. فى العمق كـان

صراخه .. عويله .. بدأت المناجل فى قصف شعيرات العانـــة .. بحثــت الأظافر عن عضوه المنكمش حتى التلاشى .. ســـحبوه .. رحـــن يلعقنـــه بألسنة ناعمة .. لكن العضو تداخل فيه .. توارى .. ســـحبته المنـــاجل .. لعقته الألسنة بنهم .. ظل منكمشا وتوارى .. بصقن فوقه .. كثـــيرا كـــان بصاقهن وعظيما بالعمق الصراخ ..

كان العضو الملعوق يطرد نقاط الدم والبصاق من محيطه منزوع الشعر .. ينزف دما .. امتصته النسوان .. وتجشأن فى تلذذ .. لكن المقت لم يخمد .. كورن أيديهن .. مطارق .. قرعن بها الرأس فـــى شراهـــة .. وتئن الأضراس بفعل الأفتراس .. تفرغ القهر من مكامنه ..

حين تذبذب البندول المعلق وحده .. كان آخر الذاهبين فى لحظة التساقط والغشاوة .. قردا ذا ثديين .. يخرج له لسانه المشرشر .. هـــــابدا خلفه الباب ليسقط البندول من المقبض ..

......

ترتيلة ٩:

ولأن الرقص متاح .. والحب على الرصفـــان مبـــاح .. وآكلـــى الكتف ينتهكون فى عز الظهر أكواخ بقايا الناس الملقيـــن تحـــت الغيـــب المجهول ينتظرون شروق صباح آخر يأتى بأشياء تبعث فى أنيميـــا الـــدم المسفوك تحت الريح وهواء الجو المشحون بخراء ذباب أحمق .. أجـــواف تتقاطر منها الريح فى صمت .. يوم أجمل.

كان مدخل كل بيت قمئ ينوء بجلسائه الرأس .. حين تشده النملة الى الداخل .. فنسوان الدهاليز تفرج عن سيقان باعد تلاصقـــهما والجلـــد المترهل حر قانظ .. ولأن الرؤية متاحة .. لم تنظر من أطفـــال الأكـــواخ

عـين .. ولا من آكلى الأكتاف بصر .. ولا النائمين فوق تـراب الأزقـة لمحة ..

ولأن ما ليس عاديا – خلع حزام العفة دوما– قد أصبـح عـادة أنتشرت فى بواكى ليالى المدينة النسوان .. يبعن الجلد لمـن يدفـع ثمـن الأقوات .. يهيم بأبدان الشابات مكسورى الخاطر حبا .. ويجئن .. أزقة ما بين الأكواخ ينشرن أريج الراحة ... يكتمن ألسنة القول .. أن قالت عـن أصحاب المواخير حكايا .. فالساحة يا أهل الساحة: والكـون مـن حـول الساحة .. ماهو الا ماخور أعظم .. يتخفى فى ظله الشاكون مـن جـراء خواء جيوب ثياب لم يلبسوها.

فأهلا بالنملة حين تشدك للداخل يارجل الحى الواحـد .. ياسـليل الزمن الغارق فى النوم .. يا أبن الدائرة .. فى المدن القديمة والغابات .. يا آتى بأفراح علم الغيب.

......

ترتيلة ١٠ :

(وأن ألبس الطاقية .. أو أخلع الطاقية .. هذا شأنى .. فلا حظر على رأسى .. ولا مصادرة لما يحوى .. فالذى يحويه قائما فيه .. بغطـاء كان أو بغير غطاء ..) .

بشكل فجائى .. صباحا كان مقطوع الساق .. جهنمى الشمس .. صاروخى الصوت فى الريح المخنوق .. بعبق المداخن وعوادم العربات .. وأنفاق الصدر والأبدان المغطاة والثقوب .. نبعث عفونة البطون فى الليـل .. زفير محاصر .. ينفث فى الطرقات الواسعة .. بديلا كان لفول وبصـل فى قيعان المصارين .. استراح برغم اتساع ممرات الأنفاق البلعية .. فان

اعتلج فى البراح - تفشى- فى حين وضع الأصابع لتطبق علـــى الأذان .. الطواقى حذرا .. يحمل الاعتلاجة الريح .. يذروها حيث الفضاء الفسيح .. وحيث وجوه الجهامة ,, وأنياب الصرامة .. تفــك عــن اشتــداد حوافـــى الطواقى على الأصداغ لتستريح .. تزفر كبت خفايـــا أغشيـــة الأنفـــاق .. وأركانه .. يمشون ..

كل الطواقى تعبر الأسفلت الى الحوانيت .. فى الشبابيك الطواقى .. فى الصالونات المتحركة .. بقدرة ينابيع قطران الأرض تقودها الطواقى .. ملساء فوق رءوس النساء طواقى .. تلونت .. وتزينت بالترتر والقصب .. وجلاجل علقت من عين الحسد فوق دماغ منتفخى العضلات - شبانـــــا كانوا - طـــواقى .. فى كل أنحاء المدينة .. تنـــــاثرت .. فـــى الأركـــان الطواقى ..

ظننت بأن لهيب الوهج الشمسى برءوس الصلع يهيم .. سكنت .. تحسست دماغى .. لا بد أن المسألة سرا يدعو جميع الخلق لوضع الطواقى .. لكن .. هل كل أهالى البلد قد أصابهم الصلع؟ .. الجرب؟ .

كانت طاقيتى من القدم بحيث اعترانى شعور بـــالحرج فمزقتـــها وألقيتها فى كومة الزبالة .. وتركت رأسى عاريا .. لتقبل النســـمات الـــى مسامى .. وليهتز فى الريح - ان هب - شعرى .. واذ كانت كل الطواقى براقة ذهبية .. نحاسية أو فضية .. جلدية ومن الكاوتشوك أو من القمـــاش المتين .. فهناك من صنع بلدنا .. نسيج لا ينفذ منه البرد أو الريـــح .. أو تخرج من محيط العدوى .. وهناك صناعة هندية .. وأخـــرى مـــن بـــلاد أخرى قابل للحل والربط وضد الحر والرصاص .. أن أنقب عن واحدة لى

فذلك من مصلحة رأسى .. فلابد – هناك – من الطواقى الكثير وأنـــا لـــم أعرف..

صارت النملة فوق الصلعة .. دخلت أذنى .. تواثبت فى نواح .. تنوح .. تنوح .. وأنوح ..

... ...

ترتيلة ١١:

الجبلاية .. القرود ..

السخط الكامن يقلقل أبدانهم فوق المجالس .. تتداعى من غيظـــهم العظيـــم جدران المكان .. معجونة التلافيف بأغشية الأعين المترقبة .. استبد الحذر بحركة الذيول .. تعلق قرد فوق الحجر .. قال لآخر :

– يريد الإنسلاخ عن الحديقة .. ليكون هو الأفضل .. ها ..

– سوف يطنطن .. ويزرجن .. ويمنع عنا المرح ..

– ويدعو الخلق للفرجة علينا ..

– أتراه يريد أن يصبح حارسا ؟

– يا بنى .. ماذا يصنع قرد بنفسه ؟ .. ها ..

– عجبا .. لم لا يصمت ويريح فوق الكرسى مؤخرته ؟!

– من الخنازير من ترفعه لتصنع منه قردا .. لكنه يتوق للخنزرة .. هأ ..

– سيجلب علينا المواجع .. وما فتئنا نرتاح من أيدى (القرداتية) غـــلاظ القلوب .

– حقيقة .. كفى استمرار أبداننا فى النحول .

وشد كل منهما طاقيته على أذنيه منعا لإستماع أحدهما الآخر ..

.. .. ..

ترتيلة ١٢ :

وحين انتهى عقد (سباطة) الموز وانفرط .. جاءوا من طرف الحديقة .. أصابع ضخمة فوق أبدان هشة .. يحملـــون حقـــائب .. وضعوهـــا فـــى الأركان.. رتبوا أنفسهم .. ونظروا فيه .. أخرجوا من الحقائب ماكينـــات النسيج .. وفى صمت .. بدأت الأيدى فى غزل طاقية بمواصفات غاية فى الدقة .. لكن رأسه الأجرد تخفى بين الركبتين ..

قدموا له الطاقية .. صمت ..

قدموا المقت المتغطرس .. صمت ..

شجبوا الطاقية فى سلك اللمبة المتدلى من سقف كغطاء .. يحيط بالمصباح ليحدد للنور موضعا معينا .. وحملوا الحقائب والمكن وتلاشوا .. وبقيـــت النملة والدودة والنهار .. يحدقون فى الطاقية ..

.. .. ..

ترتيلة ١٣:

طويلا كان رصيف الشارع .. والمخبز .. وطابور الناس .. والعيش .. تلاصقت أبدانهم على شكل واحد نام .. واحد مضعضع .. متلونا حينـــا.. وملتويا .. ومضلعاً .. تفاوتت القامات .. والأحذية .. رتبت وجوه الجهامة بحيث تولى وجه الشمس شد الخدود النابتة بشعيرات كدبابيس صدئة فـــى لوح أبلكاج بال .. أو حليقة ذقون كجلد البطة المعلوفة فولا وذرة منزوعة الريش .

وقف بشعره المنكوش .. جابت نظراتـــه خـــط الطواقـــى الممتـــد فـــوق الرصيف..

(لماذا يزعمون الجهامة ؟ .. أهم من أغنياء الناحيـــة ؟ .. ألِفُـــوا الجلـــود رواتب تؤخذ كل شهر ؟ .. لكننى لا أمتلك ســـوى شعـــيراتى المهوشـــة ..ومكانى فى المؤخرة)

همس رجل فى قفاه .. وقف :

– ياه .. أترى الوجوه ؟..

لم يكن لرأس الواقف خلفه طاقية أيضا .. قال :

– وجوه عجيبة ؟!..

شملت عيناه كل الناس .. همس فى صوت خافت :

– هس .. انهم نيام ..

– لا .. هذا موقف العيش .. هكذا يكون ..

– يعنى سأقف هنا كثيرا ؟

– ربما لبعد المغرب .

– والجبلاية ؟

– أتعمل فى حديقة الحيوان ؟

– نعم ..

– أيمكن للقرود أن تهرب ؟

– لا ..

– .. القرود لا تحب المدينة .. ولا ضجيج الناس ؟

– أظن ذلك ..

– ضرورى مشدودين من ذيولهم فى المقاعد ؟ ..

- طبعاً ..

- لا .. يهم .. ما الذى جد علينا من الشقاء ؟ .. لا شئ .. اننى آتى الـــى هنا فقط لأشاهد هؤلاء المجانين الذين لا يضحكون للرغيف السخن ..

فى همس كالفحيح .. صدى صوت .. من أى الأمكنـــــة جــاء ؟ ..لايدرون .. لكنه كفحيح :

- الضحك فى الجرائد .. الضحك فى الأغانى .. الضحك سيف على رقاب العباد .. الضحك يمكن ملاقـــاته فى كتب التـــــاريخ .. أو علـــى أفـــواه المجانين .. أو فى قاع أعماق المعانى .

قال الرجل الذى فى قفاه :

- أنا معى رغيف .. لقد اشتريته مبكراً .. ها هو .

أخرج من طيات ثيابه رغيفاً .. نشره على الملأ :

- ما دام رغيفى معى فلأشاهد اليوم المجانين .

واختفى الرغيف فى الثياب .. قال ضاحكاً :

- ألم تأخذ مثلى طاقية ؟

- طاقية ؟!

- نعم طاقية .. هذا قرار جديد .. لبس الطواقى .. ان معى طاقيتى .

أخرج طاقية .. كورها فى قبضته .. قربها من فمه .. بصق فيها ومخط .. حاول ان يرى الطابور النائم ماذا يفعل .. مسح بها خفه القديم .. وأعادها مكانها من ثيابه قال فى سبات صف الطواقى :

- ألم تأخذ واحدة ؟

.. .. ..

ترتيلة ١٤ :

فى حبل اللمبة الطاقية .. تأرجحت والقلب ..

محاصر البدن فى ضوء المحدود .. تتأسى النملة فى منطقة الظل .. تظل قرون الاستشعار .

.. .. ..

ترتيلة ١٥ :

الشمس .. اللهب الساقط .. الراس العارى .. العين التى تحوى الشارع ..
قال الرجل الذى فى قفاه .. فى الأذن :

- يقولون .. سوف يسلمون الطواقى مع مقررات التموين .

ابتعدت الأذن عن القفا .. لمحة يقول بصوت واضح :

- يوجد منها فى المجمعات الكبرى .. المشهورة .. هناك أنواع جديدة طرحت فى الأسواق .. محلية ومستوردة .. ترضى كل المقاسات .. لكننى ..

وهمس بصوت خافت للأذن :

- لن أستلم منها .. مهما حدث .. فأنا لست عبيطا ..

وصمت .. صمت .. ثم زغد فى الكتف واحدا طويلا .. لينحى طاقيته قليلا فهى عالية كالعمامة تحجب ما يمكن رؤيته من تقدم الطابور .. وحين خلعت عن الرأس الطاقية .. وضحت بأم الرأس ندبة غائرة كشق السكين .. تحيطها شعيرات هوجاء .. ثائرة .. امتعض .. قال صاحب الندبة الذى أمامه :

- اخفض طاقيتك فأنا لا أرى .

ارتفعت الطاقية بأصابع آلية .. الشق فى منتصف الدماغ ..
نفس الدماغ .. نفس الندبة .. دهمت الدهشة الإمتعاض .. تطلـــع ليســأل
الرجل الذى فى الخلف .. بعيدا كان .. يتقافز برغيفه فرحا ..
لكن عند قارعة الشارع تولاه رجال بهراواتهم ..

.. .. ..

ترتيلة ١٦ :

الطاقية مدلاة .. منكمش هو .. تكومت فى الجلد عظامه .. أحاطت ذراعاه الرأس .. مخبوءا فى الكتلة الواهنة ..
قليلا ويأتون .. ويأتون ..
لحظة تجليهم حين يلحظ الذهن أجواف العالم .. ملامح .. تنقش السحنات..
نفى الرأس اختلاجاته .. استحلب فى استرخاء لحظات الإنكمـــاش وتوحــد ذاته .. فليظل هكذا .. فارغا مرتاحا .. يكفى الرأس حماية .
(أكانوا مثلى هؤلاء الذين يلبسون الطواقى ؟ .. أحموا بالطواقى الرءوس؟ .. أم حمتهم الطواقى من الضربات ؟)

.. .. ..

ترتيلة ١٧ :

للباب صرير حين يفتح .. وشريط من ضوء يسقط فـــوق الأرض وبدنـــه الملموم .. تتثاقل فوق الضوء الأقدام .. تقتله .. ويراهم من بين ثنايا الجلد المتلاقى .. آتون .. يتحفز الرأس لملاقاة الطريقة التى سوف يضرب بـــها الآن .. أنواع من الطرق قد جربت فيه .. لكن .. كل طريقة لها غاية ..

مضموم الرأس .. مسترخيا .. بين الفخذين .. والفخذين بيـــن الذراعيــن الكاوتشوك .. بدأت الهراوات .. فى صعود .. تبادلت .. فـــى هبــوط .. مسرعة ومنتظمة بحيث ينال كل جزء من الجسم ست ضربات متواليات .. قابلة للزيادة .. حسب المقت الكامن فـــى أعمـــاق الضـــاربين .. والذيــن يتوالون.. يتغيرون فى كل مرة .. ثلاثة يرتفعون عن الجزء المضروب .. وثلاثة يهبطون .. وأخرى – تواجدت – لتقليب الجثـــة لإمكانيـــة ظـــهور الرأس من البدن القنفذ .. السلحفاة .. ويعتقدون فى كل زيادة أنهم سيجدون الجثة غائرة .. لكن .. حين تتعاقب أنفاس الضيق وتفاقم القوقعـــة فيـــه .. يتطلعون فى بعضهم .. يتأسون للتعب والسدى ..

رءوس فى حجم الأرز .. ذيولا تختبئ فى الثياب .. ويمضـــون كخيـــلاء تذوب ..

.. .. ..

ترتيلة ١٨ :

أتناثر فوق الأسفلت البراق .. توخز فى مســـامير الذقــن .. أتضـــاءل .. يسحق خياشيمى أريج الزهر العابر تحـــت الأرصفـــة المزدانـــة بـــالشجر المتكاثفة ظلاله .. والسوس .. تبهرنى دكاكين النيـــون المتلاعـــب علـــى نغمات الموسيقى فى إبتهاج تحت عمارات تعالت شرفاتها آنفة فى تعاظم .. تائها انسحب .. مأخوذا كنت أجئ .. ميتا أمشى: فى الحى طريقى .. تقول النملة حين يصطفق بالحائط رأسى :

– من قال لك أن تذهب إلى هناك ؟

– أتفرج على الدنيا .

– أليس هنا دنيا مثل الدنيا التى هناك ؟

- نحن هنا فى الآخرة ..
- أمن جنس آخر أولئك الذين هناك ؟ ..
- نعم .. جنس ينعم فى الحرير والهدوء .
- أول مرة أسمع عن هذا العالم .. إذن نحن ناس .. وهم ناس .
- أبدا .. نحن لسنا ناسا .
- إذن من نكون ؟! ..

نظرت إلى البدن النملة .. تحركت قرون الأستشعار .. شدت الرحيل نحو الحجر .. وخلفها الدودة ..

.. .. ..

ترتيلة ١٩ :

صراخ .. صراخ

دوائر تدوى .. جدار الزريبة .. صراخ .. مطارق تـــدق كــل كــوخ .. صراخ .. يحيط .. يعبق جو المكان .. صراخ .. صخب .. صخب يـــهز المكان .. صراخ .. صراخ .. قرع المواســـير المجوفــة .. صـــراخ .. فناطيس هوائية بطون العيال .. تبعث الصراخ .. نباح الكلاب الأزقة ليلا صراخ .. طواحين كانت نبال العيال .. تصاعدوا فوق جدار الزريبـــــة .. أحاطوا البيت بأبدان الوهن .. فى صراخ .. تـــهافتت قطــع الحجــارة .. وحصو النبال حين أراد النظر .. أنكمش .. لكن النبال تواصل الضرب ..

......

ترتيلة ٢٠ :

حين هندمته بعض الأفاقة .. تساوت عظامه .. وتســحبت نحــو النافذة السيقان .. الخلق فى البيوت يمضغون الصمت .. يتحلون بالريبة ..

يســـترقون النظر من خلف أضـــلاع النوافـــذ .. ويجفلـــون .. ويرتـــدون الطواقى ..

أخفقت سطوح البيوت عما كانت .. تقازمت الأكواخ .. تفرقـــت عن تلاصقها المتين الأسوار .. تباعدت .. تباعدت متنافرة ..

أكان ما يرى .. ؟ أم خمد فى عينيه البريق ..

لكنه يراهم .. رغم امتشاق الغشاوة للحدقة ..

كانوا يأكـــلون فى نهم مرهفين الســـــمع لأصـــوات الأضـــراس الطاحنة .. رافعين حواف الطواقى لما فوق الحواجب لحد رؤية الطعام فقط .. حتى اذا امتلأت الأنفاق شدوا على الأعين الحواف .. واســـتناموا فـــى انبعاج .. تضاجعوا تحت الطواقى .. ما دامت فوق أعين العيال الأغطية..

......

ترتيلة ٢١ :

(قالوا :

– كيف استباح لنفسه المجئ؟

– مرة أخرى؟ ..

– أنه يضحك.

اشاحوا عنى .. ولوننى ظهور الجهامة .. هزوا فى وجهى الذيول .. جاست نفسى فروع الحديقة .. فى ظهرى كانت النملة .. والتعـــب .. وجئت .. بوريقات الحظر من الحديقة " يحظر عليه بقلـــب الحظـــيرة" .. جئت .. هزأت منى النملة ..) .

ترتيلة ٢٢ :

انتشى النهار القابع فى عباءة الصمت .. تقـــاطعت فــى صفــو السـماء القضبان .. مربعات .. محبوسا كـــان الريــح بعــرض الجــو المخنوق ..

للوهلة الأولى تبصر حدقة عينه المطفأة قضبان الشباك .. حيــن أراد الحركة .. انبعثت فيه قرون الإستشعار .. بالت فوق الساق النملـــة.. ولما شرع بدنه فى القيام .. أقعدته الدودة ..

ثقيلا فوق البدن الواهن رأسه ..

غربان تنعق فوق صوارى انتشرت حـــول البيــت .. تقطعــت أســلاك وتهرأت.. تشابكت .. زحفت ملتفة على أبـــدان الصـــوارى .. شائكـــة..

مسكت يده القضبان ونام ..

خرجت من جحر جدار البيت الدودة .. الدودة .. امتط بدنها واســتطال .. زحف نحوه .. تعلقت .. فكت عن القضبان يديه .. بعضه ينكمش فيـــه .. تدنو منه .. تتسكع فى استرخاء فاحش .. تتبختر وينكمش .. توليه ظهرها الأجرد .. ينفك انكماشه .. يتطلع فيها .. كانت تختفى فى الظل .. ثم يفتح الباب .. يبعث بصيصا ويغلق ..

.. .. ..

ترتيلة ٢٣ :

.. قضبان .. هضابا كانت الأرض .. ضباب كثيف يحوط المكان ..

(والنملة تجئ .. تمتص منى النخاع ..)

وللغربان طواقى ..

(النملة ترتقينى .. تستحلب الرمق ..)

تشبثت بالقضبان يداه .. وقام ..

(تفنينى النملة داخلى ..)

ضباب الأرض يذوب .. يتلاشى .. بعيدة هى الأرض ..

(والنملة .. وقرون الاستشعار تتناثر فى منطقة الضوء .. وتغيـــب فـــى الظل..ثم الباب يفتح .. يبعث بصيصا ويغلق ..)

تتباعد الأرض التى زالت عنها الأكواخ .. جبالا كـــانت قائمـــة .. بقلبـــها كهوف صماء .. تتلوى فيها الثعـــابين .. وبشقـــوق الأرض النتـــوءات .. وسماء كانت تومض أعين براقة تخيـــف الدانـــى .. برقـــا وصواعـــق .. سحابات تمطر نارا ..

ليسمع السامعون بأدنى الكون .. أغرب ما يمكـــن أن يســـمع .. أن تتبـــح بالأطراف المترامية – عن المدن – طواقى ؟!.

.. .. ..

كالبرج المصلوب بوسط الجبلاية وتحت القيظ البيت .. يتضـــاحك وجـــه الرجل القابع فيه ..

يستجمع من كل الأنحاء شتات الرأس .. إلى حيز الضوء الساقط من دائرة الطاقية ..

المحتوى

* نشرت هذه القصص منفردة فى الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٠

الصديقان للنشر والاعلان

٢٨ شارع ممفيس - كامب شيزار - الإسكندرية
تليفون : ٥٩٥٣٩٨٩

صدر من سلسلة راقودة :

١- رجل بسيط وأشياء بسيطة (شعر فصحى)

حسنى منصور

٢- نظرات فى القصة القصيرة (نقد أدبى)

عبد الله هاشم

٣- آه لو كنتى صارحتينى (شعر عامية)

أشرف صديق

٤- حديث الضد بن البراءة (شعر فصحى)

محمود عبد الصمد زكريا

٥- إنفعالات العنب (شعر عامية)

صادق أمين

٦- أمطار تموز (مجموعة قصصية)

حنان سعيد